

نتائج نزاع صيف 2006 على الظروف الحياتية والصحية للجماعات المدنية في جنوب لبنان



"نحن نعالج أولئك الذين ينساهم العالم شدينا فشينا"
أطباء العالم



نتائج

نزاع صيف 2006 على الظروف الحياتية والصحية للجماعات المدنية في جنوب لبنان

ملخص

نتائج نزاع صيف 2006 على الظروف الحياتية والصحية للجماعات المدنية في جنوب لبنان

أهداف المهمة والتقارير

تجري "أطباء العالم" (Médecins du Monde) منذ ايلول/سبتمبر 2004 مهمة طويلة الامد في لبنان. بالتالي، كانت الجمعية موجودة على الارض في 12 تموز/يوليو المنصرم، عند بدء الهجوم الاسرائيلي على لبنان ردا على اختطاف حزب الله جنديين اسرائيليين.

على المستوى العملي، عمدت الجمعية الى تكييف انشطتها مع الظروف التي سادت طوال فترة النزاع.

في الفترة الاولى، واثر استحالة الوصول الى المنطقة الجنوبية من البلاد، ركز جهاز الطوارئ على مراكز استقبال النازحين في بيروت وضواحيها القريبة . وعمدت "اطباء العالم" الى نشر ثلاث وحدات متنقلة وساهمت في وحدثين اضافيتين في اطار شراكة مع "مؤسسة عامل" الطبية اللبنانية. سمح هذا الجهاز بتأمين متابعة منتظمة لحوالي اثني عشر مركزا، بمعدل زيارة الى اثنتين اسبوعيا . اجرت "أطباء العالم" اثناء النزاع 1921 معاينة بينما اجرت "مؤسسة عامل" 1751 معاينة.

اثر سريان وقف اطلاق النار بين اسرائيل وحزب الله في 14 آب/أغسطس، وعودة الاعداد الهائلة من النازحين الى الجنوب، انشأت فرق "اطباء العالم" نظام استباقي للطوارئ بغية الاستمرار في تلبية الحاجات الطبية، فتمكنت ما ان وصلت الى الجنوب من مقابلة المدنيين الذين طالهم النزاع مباشرة وفتح حوار معهم. بعد انتهاء النزاع اجرت العيادات المتنقلة التابعة لـ"اطباء العالم"، خلال شهرين، 1741 معاينة بينما اجرت مؤسسة عامل بدع م من "اطباء العالم"، 2418 و1250 معاينة بالتوالي في مستوصفي الخيام وبرج البراجنة.

عملا بوسالة أطباء العالم، التي تشمل الوقوف شاهدة وتقديم العلاج، شكلت الجمعية بعثة لتقييم ظروف الحياة التي فرضت على المدنيين العالقين في جنوب لبنان.

اجريت هذه المهمة بين 29 آب/اغسطس و6 ايلول/سبتمبر 2006، ونفذتها ماري كلير الان، وهي مشرعة دولية وضعت التقرير. سمحت هذه البعثة بتحديث المعلومات التي كانت مجهولة اثناء النزاع وتحليل وقع هذه الازمة على السكان، اضافة الى رسم صورة عن الدمار وعن مستقبل المنطقة.

في 4 آب/اغسطس وقعت "اطباء العالم" بيانا صحافيا مشتركا مع منظمات "التحرك ضد الجوع" (Action Contre La Faim)، "هنديكاب انترناسيونال" (Handicap International)، "منظمة الإسعاف الأولي" (Premiere Urgence) و"تضامن" (Solidarite)، استنكرت فيه خرق القانون الدولي الانساني، والعواقب الصحية على المدنيين جراء العمليات المسلحة والحصار المفروض على لبنان. وتوجهت الجمعيات كلها ببناء الى الاطراف المتنازعة لاحترام القانون الدولي الانساني.

عمليات الجيش الاسرائيلي العسكرية في القرى التي زارها فريق التحقيق (عيترون، بنت جبيل، فرون، كفرشوبا، الخيام، مرجعيون، مركبا، ريب ثلاثين، رشاف، راشيا الفخار، صريفا، تبين)

تلقت بعض البلدات (عيترون، بنت جبيل، فرون، الخيام)، ذات الاكثريّة الشيعية، ضربات قاسية منذ ايام النزاع الاولى، ما الحق الكثير من الخسائر بالارواح والماديات التي ادت الى تدهور ظروف الحياة بالنسبة للمدنيين الذين مكثوا في اماكنهم. في حالات اخرى (رشاف، مركبا، صريفا)، استهدفت القرى بتواتر اقل في الايام الخمسة عشر الاولى، ما شجع بعض السكان على ملازمة منازلهم. بعد انقضاء هذه الفترة الاولى، التي لا تتجاوز الاسبوعين الاولين من بداية الحرب، تكثفت الضربات لا سيما في الاسبوع الاخير.

تعرضت كافة القرى التي زارها فريق التحقيق (عيترون، بنت جبيل، فرون، كفرشوبا، الخيام، مرجعيون، مركبا، ريب ثلاثين، رشاف، راشيا الفخار، صريفا، تبين) الى القصف الاسرائيلي. وفي اطار النتائج الاولى، برز تعطل كافة المنشآت الكهربائية ومنشآت مياه الشرب في المنطقة بمجملها، واصابت الكثير من خزانات المياه. بالاضافة، تضررت كافة محاور الطرقات الرئيسية ومداخل قرى كثيرة ما ادى الى اتلاف عدد كبير من قنوات الامدادات لفتيجة ثانوية. كذلك، استهدفت الجسور، ما فاقم مشكلة التنقل في المنطقة. واغار الطيران الاسرائيلي على اغلبية المدارس والجوامع كما اصابت القذائف الكثير من مقار البلديات. وتم احصاء اعداد من الوفيات والجرحى المدنيين في المساكن او ال سيارات المصابة (مراجعة الجدول ص. 17).

اما المرافق الصحية في البلدات التي ضمت مستوصفا او مستشفى، فغالبا ما اصيبت مبانيها (مراجعة ص. 6). كما تعرض عدد كبير من المساكن الخاصة، للتدمير الجزئي او الكامل (66%)، مراجعة الجدول ص 7)، وتم تدمير بعض الاحياء بالكامل. بلتالي، باتت عائلات باسرها بلا مأوى مع حلول الشتاء اضافة الى خسارة كل ممتلكاتهم تحت الركام. يصعب تقدير عدد هذه العائلات بدقة، ولكن يتم قياسه بالنسبة الى عدد المساكن المدمرة (24% نسبة المنازل المدمرة بالكامل او غير الصالحة للسكن).

شهدت بلدات عدة في جنوب لبنان احتلالا اسرائيليا اثناء النزاع، استمر اسابيع بعد وقف اطلاق النار. وادت هذه التوغلات الى اثاره الرعب لدى السكان والحد بشكل كبير من قدرتهم على التحرك. في مناطق مختلفة واصل الجنود الذهاب والاياب حتى بعد فترة على انتهاء الحرب. سحب الجيش الاسرائيلي رسميا قواته كلها من جنوب لبنان ليل 30 أيلول/سبتمبر - 1 تشرين الاول/أكتوبر.

حركة النزوح السكاني

في اكثر القرى هرب المدنيون منذ ايام النزاع الاولى، ولم يبق بعد عشرة ايام الا حفنة من السكان، الذين التجأوا احيانا الى منازل غير منزلهم لوجود ملجأ تحت الارض فيها. كما ادت انذارات السلطات الاسرائيلية، التي اعلنت للسكان انها ستعتبر على المدى القصير كل من يبقى في المنطقة مقاتلا، الى حث السكان على الفرار.

بعد مرور الاسبوعين الاولين على بدء الحرب، ادى احتمال اطالة النزاع، وحدته، وملاحظة اصابة الضربات اهدافا مدنية، ناهيك عن تفاقم صعوبة ظروف الحياة والامن، الى اقناع العائلات المتبقية بالرحيل. وتشهد اعداد السكان الباقين طوال النزاع في القرى التي شملها التحقيق والتي تتراوح بين 0 و 4,6 %، على النسبة الهائلة لاخلاء القرى، التي فرغت في غضون ايام فحسب . كما انها تكشف عن الرعب الذي انتاب الناس جراء العمليات العسكرية والشعور بغياب الحماية في اي مكان . وتمت المغادرة، لا سيما في المراحل المتأخرة، في ظل ظروف صعبة للغاية.

في هذه المرحلة، تقتصر الاسباب التي اجبرت بعضا من السكان على البقاء، على دوافع صحية بشكل عام، كالوهن او العجز ، سواء لدى الافراد أنفسهم او قريب لهم، اضافة الى اعتبارات مادية (غياب السيارة) واقتصادية (حماية الماشية). شكل وضع الطرقات التي قطعت جراء القصف عاملا اضافيا في بقاء السكان الذين قرروا التحرك متأخرين.

ظروف حياة المدنيين غير النازحين

نظرا الى القصف الذي طال تقريبا كافة البنى التحتية المدنية مباشرة او الحاق الضرر غير المباشر بها، سرعان ما برزت نتائج مؤثرة على حياة المدنيين ظلت تتفاقم اسبوعا بعد اسبوع

غياب الامان

مع وعي السكان باحتمال اصابهم في غارات الطيران الاسرائيلي، وبن صفتهم مدنيين لا ت وخذ بعين الاعتبار، لؤم بعضهم المخابئ طوعا لايام، منقطعاعن اي مساعدة.

ان الحد من امكانية التحرك جراء غياب الامان الشامل المسيطر في المنطقة، اثر كثيرا على حياة المدنيين الباقين فيها. واكد الافراد الذين سئلوا انهم عاشوا في ترقب ضجيج الطيران الاسرائيلي، فاحتموا في المنازل او في أقبية اثناء القصف، واستغلوا فترات الهدوء للخروج وابحث عن المؤونة في المنازل المجاورة او المتاجر المتاحة. في الايام الاخيرة للنزاع، تعذر التحرك بالكامل، حيث لم ينقطع القصف لحظة . امسى السكان سجناء منازلهم في قرى محاصرة.

وصول السكان الى مرافق العلاج، والمعالجين الى السكان

بالتزامن مع مغادرة الحيز الاكبر من السكان، اخلى طواقم العلاج قرى جنوب لبنان في مرحلة مبكرة من النزاع. بالتالي اغلقت المراكز الصحية ابوابها، ما حرم المدنيين الباقين من الحصول على الرعاية الصحية. اما مستشفيات مرجعيون، تبنين، وبننت جبيل، فواصلت نشاطها طوال فترة النزاع ولكن بقدرة محدودة جدا.

بالموازاة مع ذلك، ادت الظروف الامنية ووضع الطرقات الى مضاعفة الصعوبات امام منظمات الاغاثة في القيام بمهامها. فعمل الصليب الاحمر اللبناني بشكل محدود بسبب تلك الضغوط. كذلك لم تتسح امام جمعية "اطباء العالم"، على غرار كافة المجموعات الفاعلة الانسانية والصحية، الا فرصا نادرة للتوجه الى الجنوب ومساعدة السكان.

ان اطلاق النار على سيارات اسعاف او في محيطها القريب، اضافة الى قصف محيط المستشفيات، او حتى استهداف المبنى نفسه كما حصل في بنت جبيل، شكل عقبات رئيسية امام واجب المساعدة الطبية تجاه المدنيين، الذي ينبغي ان يحترمه اطراف النزاع، لا بل ان ينظموه.

أدى هذا الوضع الى حالات وفاة تأثرا بجروح لم تتلق العلاج في الوقت اللازم . كما اجبر الكثير من المرضى الهزمنين على الانقطاع عن علاجهم طويلا.

الحصول على المياه والغذاء

أثناء الاسبوعين الاولين من النزاع، استطاع السكان الاعتماد على المؤونة، او استغلوا فترات توقف القصف الكافية للتوجه الى المنازل او المتاجر المجاورة. وافاد بعض المدنيين المعزولين انهم تلقوا مساعدة نسبية من عناصر حزب الله. بشكل عام، لم يشكل التزود بالمؤونات الغذائية صعوبة حقيقية الا مع الفترة الاخيرة في النزاع، مع تكثف القصف الى حد تعذر الحركة بالكامل، وعلى الاخص، وليس حصر ا، في القرى التي احتلها الجنود الاسرائيليون.

ولكن بالرغم من هذه الظروف الحياتية المؤسفة، لم تنكر الا حالات قليلة مؤسفة من سوء التغذية او الجفاف، نظرا الى ان صعوبات الحصول على الغذاء والمياه لم تبلغ مرحلة حادة الا لايام مع نهاية النزاع.

ظروف حياة السكان الحالية والاحتمالات المستقبلية

النتائج الصحية

مباشرة بعد نهاية الحرب، انفتحت المجموعات الانسانية الفاعلة على أن التنظيف الصحي هي ال مشكلة الاساسية، مع اعتبار الاضرار التي طالت الشبكة المائية. ان اعادة تشغيل البنى الصحية وعودة الطواقم الطبية تاتي تدريجيا. في الانتظار، ساهمت مبادرات جهات فاعلة غير حكومية بالتعويض عن التأخير وتغطيته نسبيا (التزود بالمؤن، المعاينات).

ستكون النشاطات الطبية التي اجرتها "اطباء العالم" في تلك الفترة موضوع تقرير منفصل في آخر مهمة الطوارئ، حيث يتم تحليل المعطيات الاحصائية الدقيقة.

اضافة الى حالة الطوارئ الصحية، ان الانتشار الواسع للقنابل العنقودية والاسلحة غير المنفجرة يثير القلق البالغ. تشير الارقام الحديثة الصادرة عن مركز التنسيق لمكافحة الالغام في جنوب لبنان التابع للامم المتحدة الى ان القنابل العنقودية غير المنفجرة والاسلحة غير المنفجرة والالغام الحقت 128 ضحية منذ وقف اطلاق النار، 97% منهم جراء القنابل العنقودية. 90% من ضحايا القنابل العنقودية مدنيون، ويشكل الاطفال الثثر من ثلثهم. الى يومنا هذا، تم تحديد 746 موقعا للضربات بالاسلحة ذات القنابل العنقودية، ويتم اكتشاف مواقع اضافية يوميا.

النتائج الاقتصادية

قطعت الحياة الزراعية بعنف، وهي محرك اساسي في الحياة الاقتصادية في جنوب لبنان. احترق عدد كبير من الحقول والاشجار جراء الغارات الجوية، كما لحقت خسائر كبيرة في المواشي. ولن يستطيع مربو الماشية اعادة كسب العائدات قبل استعادة قطعان جديدة. أما بالنسبة الى المزارعين، فبات استئناف نشاطهم خطرا محققا لوجود أسلحة غير منفجرة وقنابل عنقودية منتشرة في الحقول طوال النزاع، وبشكل مكثف في الاثنتين وسبعين ساعة الاخيرة منه. كما ارتفع عدد المؤسسات التجارية المدمرة (300 في بنت جبيل، 60% في فرون)، ما ادى الى عواقب وخيمة في القرى التي تعتمد بشكل طفيف على الزراعة وتستند الى التجارة. على المدى الطويل، تم اكتساح اقتصاد كامل في منطقة تعاني اصلا من الحرمان والهشاشة.

الخاتمة

يفرض القانون الدولي الانساني حماية المدنيين في وقت النزاع المسلح، وتمييزهم عن المقاتلين. غير ان المدنيين الذين لزموا قراهم تعرضوا لتهديدات متواصلة، في استخفاف بواجب التمييز والحماية المذكور.

كما يمنع القانون الدولي الانساني التعرض لاهداف مدنية. ان المنازل والبنى التحتية العامة كالمدارس والصروح الدينية تستفيد من قرينة من حيث صفتها المدنية. لكن دولة اسرائيل لم تأخذ بعين الاعتبار هذه القرينة عبر ضربها عن عمد مجموعة كبيرة من المباني

بنفس المنحى، يحظر القانون الدولي الانساني مهاجمة اي ممتلكات ضرورية لبقاء المدنيين، او تدميرها او تعطيلها، كالمواد الغذائية والمناطق الزراعية التي تنتجها، المحاصيل والماشية، اضافة الى منشآت وخزانات مياه الشرب.

من جهة، يشكل نشر عدد كبير من القنابل العنقودية¹ والأسلحة غير المنفجرة (صواريخ، قذائف...)، ناهيك عن الالغام الموجودة في جنوب لبنان قبل النزاع، تهديدا خطيرا للمدنيين . نستهكر "اطباء العالم" استخدام الجيش الاسرائيلي اسلحة ذات قنابل عنقودية، وهي غير مُميّزة بطبيعتها.

من جهة أخرى، شكل اطلاق حزب الله ضرباته من مناطق مأهولة، اشارة الى أنه لم يعمل في سبيل التمييز بين المدنيين والمقاتلين كما ينص عليه قانون الحرب. لذلك تود "اطباء العالم" دعوة اي طرف في نزاع الى احترام معايير القانون الدولي الانساني، لمصلحة المدنيين.

تثبت المعلومات المجموعة في جنوب لبنان ان هجمات الجيش الاسرائيلي المتكررة والمنتظمة حرمت المدنيين اللبنانيين من وسائل البقاء وطالت حقهم غير القابل للتصرف في ان تبذل كافة الجهود لحمايتهم باكبر قدر من الفعالية في اطار النزاع.

تشير فداحة الدمار الذي سببه الجيش الاسرائيلي في القرى الى الطابع غير المتكافئ للهجمات التي شنت انتقاما لاختطاف جندييه . وبرأي مراقبين دوليين كثر، يشير حجم الرد الى نية بالعقاب الجماعي تجاه مجموع السكان، "المدنيين" بالسماح لهنظمة مسلحة ان تتواجد بينهم.

تعبّض "اطباء العالم" بشدة على التعديت الفادحة على القانون الدولي الانساني التي ارتكبتها الجيش الاسرائيلي في لبنان بين 12 تموز/يوليو و 14 آب/اغسطس 2006، على الاخص في جنوب البلاد . وتتعارض هذه الانتهاكات مع احكام اتفاقية جنيف الرابعة المعنية باحترام ال رسالة الطبية وواجب حماية المدنيين في اطار نزاع مسلح.

¹ قدر مركز التنسيق لمكافحة الالغام في جنوب لبنان التابع للامم المتحدة، في تقريره الصادر بتاريخ 14 ايلول/سبتمبر 2006، عدد القنابل العنقودية غير المنفجرة في جنوب لبنان (بين الخط الأزرق والليطاني) بمليون وحدة. هذا الرقم يشمل فحسب الاسلحة ذات القنابل العنقودية التي اطلقتها المدفعية والصواريخ الاسرائيلية، ويستثنى القنابل العنقودية التي رماها الطيران.

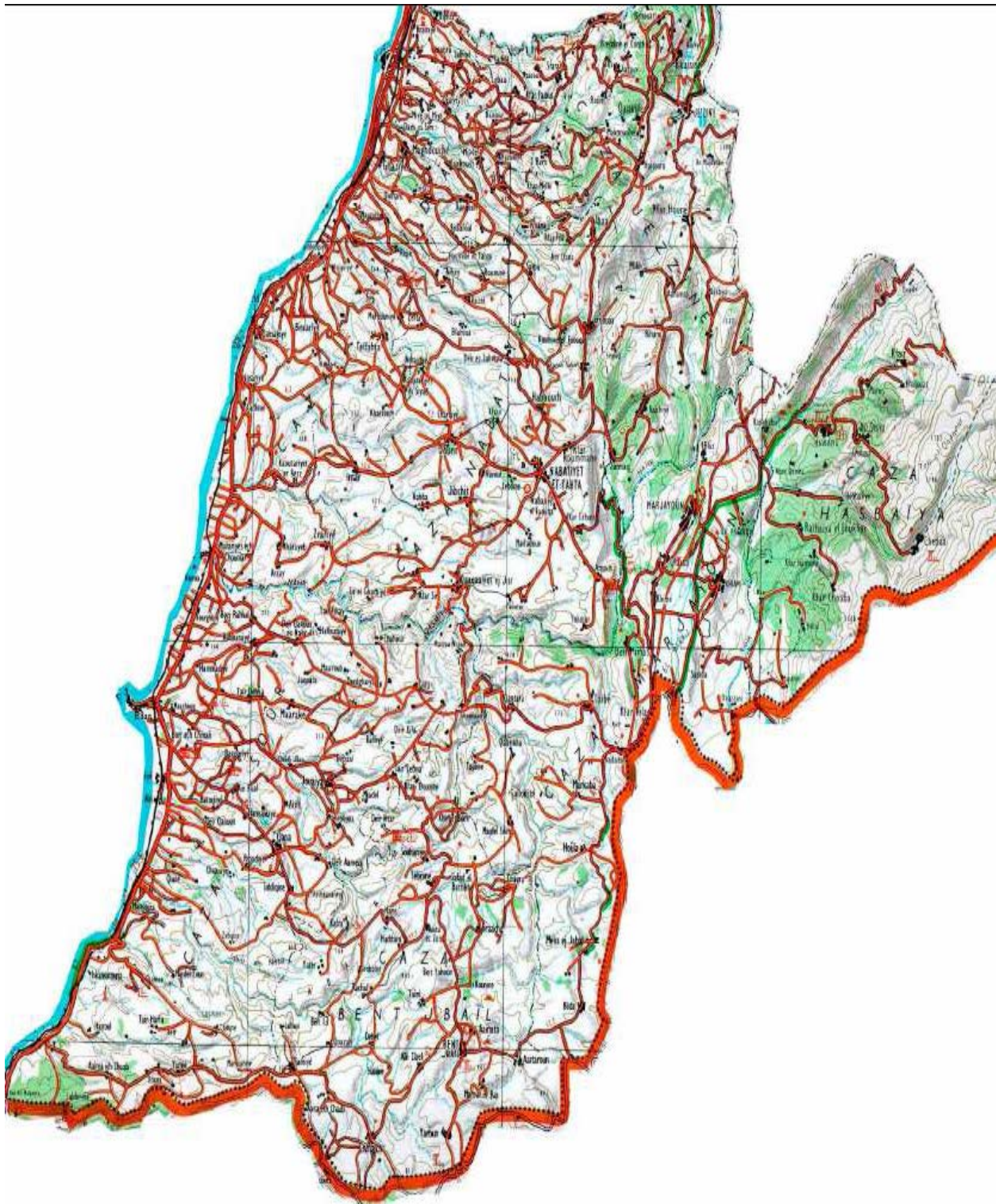
فهرس

صفحة 1	"أطباء العالم" في لبنان
صفحة 2	هدف التقرير
صفحة 2	المنهجية
صفحة 2	مقدمة عامة-الظروف الجيوسياسية
صفحة 5	I-عمليات الجيش الاسرائيلي العسكرية
صفحة 5	أ-الدمار
صفحة 5	(1) البنى التحتية والأبنية العامة
صفحة 6	(2) المساكن
صفحة 8	(3) السيارات
صفحة 8	ب- التوغلات
صفحة 11	II- حركة نزوح السكان- السكان في الفخ
صفحة 15	III- ظروف حياة السكان الباقين
صفحة 15	أ- غياب الامن في القرى
صفحة 15	(1) عدم احترام الحق في الحياة والتمام الجسدي
صفحة 18	(2) الحرمان من حرية الحركة
صفحة 21	ب- حصول السكان على الحاجات الحيوية
صفحة 21	(1) وصول السكان الى مرافق العلاج، والمعالجين الى السكان
صفحة 21	*الفراغ الطبي في القرى
صفحة 23	** خدمات الطوارئ - عدم احترام ال رسالة الطبية
صفحة 26	*** الوفيات جراء استحالة تقديم العلاج
صفحة 26	(2) نشاط المستشفيات
صفحة 26	* مرجعيون
صفحة 27	** تبنين
صفحة 28	*** بنت جبيل
صفحة 28	(3) الحصول على المياه والغذاء
صفحة 31	IV- ظروف حياة السكان الحالية والاحتمالات المستقبلية
صفحة 31	أ- النتائج الصحية
صفحة 31	ب- النتائج الاقتصادية في جنوب لبنان
صفحة 33	V - الخاتمة
صفحة 35	الملاحق

خارطة لبنان



منطقة جنوب لبنان



بالتزامن مع بدء لبنان تضييد جراحه وتقييم نتائج ال نزاع الذي مزقه طوال 35 يوما من صيف 2006، ومع اختتام "أطباء العالم" مهمة استمرت ثلاثة اشهر من نشاط الطوارئ في البلاد، ترغب الجمعية ان تشهد على ظروف الحياة المفروضة على المدنيين الذين ظلوا في جنوب لبنان اثناء النزاع، لا سيما في ما يتعلق بإمكانية الحصول على الرعاية الصحية.

"أطباء العالم" في لبنان

بدأت "أطباء العالم" نشاطها في لبنان مع مطلع الثمانينات، واطلقت مهمة على المدى الطويل في لبنان في أيلول/سبتمبر 2004، لذلك كانت على الأرض عند اندلاع الهجوم الإسرائيلي على لبنان في 12 تموز/يوليو 2006. تم تعزيز البعثة واستبدالها ببعثة الطوارئ التي عملت ثلاثة اشهر مع السكان، بالتالي شهدت الفرق العاملة اندلاع نزاع مسلح دولي وتطوره.

نظرا الى عدم نشاط الجمعية في اسرائيل، لا يسعها نقل الحالة فيها اثناء الفترة نفسها.

قبل انطلاق نشاطات "أطباء العالم" الطبية الطارئة في لبنان، ومع مرحلة تقييم الحاجات، اعربت الجمعية عن امتعاضها من شبه استحالة الوصول الى المدنيين في جنوب لبنان، ودعت الى "وقف فوري لأعمال العنف من اي طرف".

تم فرض واقع الحصار العسكري على المدنيين منذ الايام الاولى. فالغارات الجوية المتواصلة المترامنة مع حصار ومنع تام للتجول جعلت السكان الم تحدرين من تلك المنطقة محاصرين . الآن، في هذه المرحلة المباشرة لما بعد النزاع، يتحدث هؤلاء السكان الذين عانوا من حرب أهلية دامت 15 عاما، تخللها احتلال اسرائيلي استمر 18 عاما وتدخل سوري لمدة 16 عاما، فيصفون هذه الحرب بانها اصعب ازمة عاشوها على الاطلاق.

مع ان "اطباء العالم" تمكنت اثناء المرحلة الحادة من النزاع من الوصول بانتظام الى بعض مدن الجنوب، كان من المستحيل انشاء جهاز للطوارئ الطبية في هذه المنطقة . باستثناء بعض المخصصات من الادوية الى مؤسسات صحية في البقاع ومنطقة مرجعيون، كانت ف رقنا عاجزة وتعذر عليها مساعدة الافراد المعزولين في جنوب لبنان.

في مرحلة اولى، ركز جهاز الطوارئ بشكل اساسي على مراكز استقبال النازحين في بيروت وضواحيها المحاذية. ونشرت "أطباء العالم" ثلاث وحدات متنقلة ودعمت وحدتين اضافيتين في اطار شراكة مع مؤسسة عامل الطبي اللبنانية. سمح هذا الجهاز بضمان متابعة منتظمة لحوالي 12 مركزا، بمعدل زيارة او اثنتين اسبوعيا. بالتالي اجرت "اطباء العالم" اثناء النزاع 1921 ومؤسسة عامل 1751 معاينة.

اثر دخول اتفاق وقف المواجهات بين اسرائيل والميليشيا الشيعية، كيفت الفرق عملها مع التغيير الحاصل على الأرض ومع العودة الهائلة للنازحين . لذلك انشئ جهاز ما بعد الطوارئ، لمواصلة تلبية حاجات الذين نزحوا اثناء النزاع.

كانت فرق "اطباء العالم" بين اول الواصلين على الارض في الجنوب . وتمكنت منذ وصولها من التحوار مع المدنيين الذين طالهم النزاع مباشرة . طوال شهرين ما بعد النزاع، نفذت العيادات المتنقلة التابعة لـ "أطباء العالم" 1741 معاينة، بينما اجرت مؤسسة عامل مدعومة من الجمعية 2418 و1250 معاينة بالتوالي في مستوصفي الخيام وبرج البراجنة. ووصف الافراد الذين كانوا معزولين اثناء النزاع والنازحين، ظروف الحياة الصعبة التي غاصوا فيها اثناء هذه الفترة.

هدف التقرير

منذ انشاء "اطباء العالم"، اخذت الجمعية على عاتقها الاعتناء بالسكان المعوزين والشهود على واقعهم. في لبنان، اخبر الافراد المعزولون اثناء النزاع والنازحون، طواقمنا الطبية عن ظروف المعيشة بالغة الصعوبة التي عاشوها.

تم ارسال بعثة خاصة مع نهاية النزاع لتوثيق هذه الوقائع ونقل الاخلال بواجبات حماية المدنيين في حال الحرب، اذا حدثت، من خلال جمع المعطيات والشهادات الشخصية.

المنهجية

لا يتوخى التحليل التالي ان يكون شاملا، بل ان يمثل وضع السكان الذين لزموا قراهم في جنوب لبنان طوال النزاع . وهو يستند الى بعثة اجرتها ماري كلير الان المشرعة الدولية وكاتبة التقرير، بين 29 آب/أغسطس و6 أيلول/سبتمبر 2006، وادت الى جمع شهادات شخصية من ضحايا وسكان متحدرين من مجموعة بلدات تقع شرق المنطقة ال جنوبية ومحاورة السلطات المحلية في ال عمق اضافة الى جهات كانت موجودة على الارض خلال تلك الفترة، كالصليب الاحمر الدولي، الصليب الاحمر اللبناني، القوات الدولية التابعة للامم المتحدة في جنوب لبنان (اليونيفيل)، ومسؤولين وعناصر من الهيئات الاستشفائية. بالرغم من ان الحدود الجغرافية للتحقيق اقتصرت بشركل اساسي على مناطق الانشطة الطبية لـ "أطباء العالم"، غير انها شملت ايضا بعض القرى المحددة لمميزات خاصة، كحجم الاضرار التي تكبدتها، او المعطيات السكانية، او وجود مستشفى، او كونها مسرح حدث استثنائي.

مقدمة عامة-الظروف الجيوسياسية

ردا على اختطاف حزب الله جندي ين اسرائيليين يوم الاربعاء الواقع فيه 12 تموز/يوليو، شن الجيش الاسرائيلي هجوما شاملا على لبنان . تعرض لبنان طوال خمسة اسابيع لغارات جوية متواصلة . وشكل جنوب البلاد وسهل البقاع وضاحية بيروت الجنوبية، التي تعتبر كلها معاقلا لحزب الله، اهدافا رئيسية. ادت الضربات الجوية الى عزل لبنان واطرافه عبر تدمير المواقع العسكرية، والمؤسسات المرتبطة بحزب الله ومحاور الطرقات الرئيسية . بالموازاة مع ذلك، شن الجيش الاسرائيلي توغلات برية للسيطرة على عدة مواقع استراتيجية في الجنوب، بغية انشاء منطقة عازلة مع لبنان، بحيث تستطيع قوة دولية ان تنتشر لارساء الاستقرار . ردا على ذلك، أطلقت الميليشيا الشيعية رشقات من الصواريخ على مدن الشمال الاسرائيلي، لا سيما حيفا، وهددت تكرارا بضرب تل أبيب.

طال النزاع المدني مباشرة، رغما عن انهم. فالضربات الاسرائيلية ادت الى حركة نزوح جماعية هائلة، جراء فرار 500 ألف شخص منذ الاسبوع الاول، والتجأ اغلبهم الى المدارس والأبنية العامة في العاصمة

ومدن اخرى شمالاً . الى جانب النازحين، ش كل الباقون في الجنوب على الاخص مجموعة ضعيفة ، فقد فرضت السلطات الاسرائيلية اثناء النزاع عراقيل كبيرة حالت دون الوصول الى الضحايا.

20 بالرغم من اعلان رئيس الوزراء الاسرائيلي عن انشاء ممرات آمنة للمساعدات الانسانية في تموز/يوليو، ظل الوصول الى الضحايا عشوائيا وعجزت قوافل كثيرة تابعة لبرنامج الاغذية العالمي عن الحصول على التصاريح الاسرائيلية اللازمة لدواعي امنية . بالتالي، ادى قصف احدى الطرق الرئيسية بين سوريا ولبنان الى ابطاء تسيير المعونات، بعد ان انشأت اغلبية المنظمات الدولية قواعد خلفية لها في دمشق.

شهدت الازمة تصعيدا حادا آخر في 30 تموز/يوليو مع "مأساة قانا"، حيث اثار مقتل 51 مدنيا، بينهم 22 طفلا، موجة من الاستياء في كافة انحاء العالم دفعت الجيش الاسرائيلي الى اعلان هدنة من 48 ساعة، وكانت نسبية جدا. غير ان تلك الهدنة سمحت لعدد كبير من الافراد المعزولين في الجنوب منذ بدء النزاع، بالفرار باتجاه العاصمة . كما سرعت الصدمة التي ولدتها مأساة قانا، جهود الوساطة الدبلوماسية، التي شهدت تباطؤا جراء الرفض الاميركي والبريطاني للدعوة الى وقف لاطلاق النار. كوفنت تلك الجهود أخيرا يوم الجمعة في 11 آب/أغسطس، مع التصويت (في مجلس الامن الدولي) على القرار 1701 الذي يدعو الى وقف الاعتداءات في الساعة 8 صباح الـ14 من آب/أغسطس.

مع وقف اطلاق النار انتهى نزاع اسفر عن 1109 قتلى و3700 جريح في لبنان، اضافة الى 700 الف نازح و210 الاف لاجئ في الدول المجاورة، منهم 150 الف في سوريا. من الطرف الاسرائيلي، اتت الحصيلة غير الشاملة بعد 33 يوما من الحرب لثما يلي: 159 قتيلاً منهم 43 مدني، 4262 جريحاً منهم حوالي 30 بجالة حرجة، و2773 تمت معالجتهم من الصدمة والقلق². بالاضافة، غادر حوالي 330 الف اسرائيلي شمال البلاد هربا من الصواريخ التي اطلقها حزب الله من جنوب لبنان³. كما وضع وقف اطلاق النار حدا لمشكلة الوصول الى الضحايا، حسب ما اشار مسؤول مكتب الشؤون الانسانية التابع للامم المتحدة في لبنان، ديفيد شيرر.

أسهمت موافقة أطراف النزاع على القرار 1701 في تسريع عودة أعداد هائلة من النازحين، كما غادروا، اي على عجل ومن دون اي تنسيق. في غضون اسبوع، خلت الثغرية مراكز استقبال النازحين من قاطنيها، وعاد حوالي 90% منهم الى الجنوب بالرغم من تحذير الامم المتحدة من خطر الالغام، و القنابل العنقودية وغيرها من الأسلحة غير المنفجرة الباقية في مناطق النزاع . حتى اليوم، لم يستطع اكثر النازحين من الاستقرار مجددا، حيث ما زالوا يقطنون لدى اقاربهم. بالرغم من وقف المواجهات، عكست عدة تساؤلات اسباب التوتر. فمسائل انتشار قوة دولية، ومراقبة الحدود السورية، اضافة الى رفع الحصار، أبقّت على التهديد باستئناف النزاع، غير ان المخاوف تراجعت شيئا فشيئا.

اليوم، تبدو الازمة كأنها هدأت، بالرغم من صراعات داخلية كبيرة في اسرائيل، برز خلالها موقف ملتبس من جانب رئيس الوزراء ايهود اولمرت، الذي يطلق تصريحات تارة توفيقية وطورا تصعيدية. بشكل عام، خرج حزب الله من النزاع معززا، فلا شك ان استراتيجيته في توزيع التعويضات لضحايا النزاع، والتي تصل الى 10 الف دولار اميركي لكل عائلة، ضاعفت من شعبيته لدى اللبنانيين

² المصادر: سفارة اسرائيل في فرنسا، ومشروع اسرائيل "The Israel Project"

³المصدر: GRIP

١ عمليات الجيش الاسرائيلي العسكرية

يختلف توقيت وكثافة الضربات كثيرا بين القرية والاخرى. فبعض البلدات تعرض لاضرار فادحة منذ الايام الاولى من النزاع، ما اسفر عن سقوط الكثير من الضحايا من المدنيين ومن الاضرار التي ادت بدورها الى تدهور ظروف الحياة. هذه القرى، بشكل عام، ذات اكثرية شيعية. في حالات اخرى، اشارت التقارير في البداية الى اصابات بسيطة، حيث طالت الضربات محيطها، فقرر بعض السكان تقليص المخاطرة في المرحلة الاولى والبقاء. بعد انقضاء هذه المرحلة التي لا تتجاوز نصف فترة الحرب، وباستثناء القرى غير الشيعية التي اختلف وضعها بالكامل، تكثفت الضربات، لا سيما في الاسبوع الاخير. واندرج هذا القصف الكثيف بالموازاة مع استراتيجية توغل برية للجيش. اشار الصليب الاحمر الدولي الى ان الضربات كانت اكبر في القرى التي شهدت خسارات في صفوف الجيش الاسرائيلي.

أكد شهود ان الضربات لم تتوقف اثناء هدنة 48 ساعة اعلنتها السلطات الاسرائيلية في آخر تموز / يوليو. وصرح هؤلاء بان التعليق شمل الغارات الجوية، غير ان القصف بالدبابات من مراكز في اسرائيل او جنوب لبنان ظل يطال القرى، مثل فرون، المقابلة لبلدة الطيبة حيث تمر لغز الجيش الاسرائيلي للسيطرة على نبع الهاء. اثناء الهدنة، زار فريق من "اطباء العالم" ومؤسسة عامل مدينة مرجعيون، ولكن تعذر الوصول الى الخيام التي كانت تتعرض لقصف المدفعية الاسرائيلية.

أ- التدمير

1) البنى التحتية والأبنية العامة

كل القرى التي زرناها طالها القصف الاسرائيلي. وبرز من ضمن النتائج الاولى لذلك تعطيل منشآت الكهرباء ومياه الشرب في المنطقة برمتها. كما اصيب العديد من خزانات مياه الشرب التابعة للبلديات، ففي مركبا مثلا، اصيب ما لا يقل عن اربعة خزانات. كما اصيبت محاور الطرقات الاساسية باضرار فادحة، اضافة الى مداخل قرى كثيرة، ما دمر في الوقت عينه الكثير من انابيب الامدادات. وادى قصف الجسور الى مضاعفة صعوبات التنقل في المنطقة.

في ما يخص المرافق العامة، لاحظنا ان اغلبية المدارس والجموع استهدفت بكثافة في غارات للطيران الاسرائيلي، ما ادى الى احباط السكان من فرص استئناف اولادهم الدراسة مطلع تشرين الاول / اكتوبر. في بعض القرى كالخيام، لم تبق مدرسة واحدة صالحة للدراسة. كل قرية شملها التحقيق تضم على الاقل جامعا مدمرا جزئيا او بالكامل، ما عدا مرجعيون وراشيا الفخار وهما بلدتان مسيحيتان.

في راشيا الفخار، نالت الكنيسة
الارثوذكسية نصيبها من القصف، فأتلف
بعض من الايقونات من القدس التي
تعود الى القرن الثاني عشر.



لُما أفيد عن سقوط قذائف على العديد من مقار البلديات (في رشاف، مركبا، بنت جبيل، كفرشوبا)
والحسينيات⁴ (فرون، عيترون). وأوضح رئيس بلدية كفرشوبا أن السيارات التابعة للبلدية تضررت أيضا.

أما المنشآت الصحية في القرى التي ضمت مستوصفا أو مستشفى، فقد طالتها الأضرار في أكثرية الحالات.
تلك حال مركبا، التي أصيب مستوصفها، وكذلك رب ثلاثين، الخيام، وكفرشوبا. بالتالي أغلقت أكثرية
المراكز الصحية أبوابها وغادر جهازها الطبي القرى، ما أدى إلى عواقب وخيمة من حيث إمكانية حصول
السكان على العلاج، كما سنرى لاحقا.

أما الأضرار الأخرى في المرافق العامة، فأشار رئيس بلدية مرجعيون أن ما لا يقل عن 130 مستوعبا
من الزنايات دمرتها القوات الإسرائيلية التي دخلت القرية، والتي عمدت إلى ذلك، برأيه، خوفا من اختباء
مقاتلين معادين فيها. ويعزى استهداف الكثير من خزانات المياه الخاصة على سطوح المنازل إلى السبب
نفسه.

⁴ النوادي الحسينية

(2) المساكن

تم تدمير عدد كبير من المنازل، جزئيا او بالكامل. بالتالي، أمست عائلات كاملة كانت تقطن طبقات مختلفة من المبنى، بلا مأوى قبيل حلول الشتاء، بعد ان خسرت كل ما تملك تحت الانقاض (ملابس، اثاث، تجهيزات، كتب ولوازم مدرسية للاولاد...).



بسرعة، اعلن حزب الله تسديد مبلغ 10 الف دولار ام يركي لكن عائلة بيتها غير صالح للسكن، كمساعدة للعائلات في دفع اجارات منازل وتجهيزها بالحاجات الاساسية . لم تشمل هذه المساعدة كل المالكين الذين يقطنون في امكنة اخرى، حيث هدفت هذه المبالغ الى تخفيف مشاكل العثور على مسكن للمقيمين الدائمين، سواء مالكين او مستأج رين، علما ان الايجار نادر في المناطق الريفية جنوب لبنان . لذلك سبق ان تلقى الكثير من السكان حصتهم، ولكن القرى التي شهدت تاخيرا في وضع اللوائح لم تتلق التعويضات بعد . تبرز حالة استثنائية في قرية صريفا، حيث لم يتلق جزء من السكان التعويضات اثر اتفاق بين حزب الله وحركة امل التي تعهدت صرف التعويضات لمناصريها . هؤلاء لم يحصلوا على اي مبلغ الى وقت وضع هذا التقرير.

تبرز الكارثة ايضا في الدمار اللاحق بالبيئة والصحة العامة . فالركام يولد كميات هائلة من الغبار، الذي يؤدي الى مشاكل في التنفس لدى السكان، كما تجدر الاشارة الى النسب المرتفعة من المركبات الهنبعثة من كافة انواع النفايات.

ان حجم الدمار الذي الحقه الجيش الاسائيلي في القرى غني عن التعليق، ويشير الى التفاوت بين مستوى الهجمات الانتقامية واختطاف الجنديين (الاسرائيليين).

البلدة	عدد المنازل قبل النزاع ⁵	المنازل المدمرة	المنازل غير الصالحة للسكن ⁶	المنازل المتضررة
الخيام	4000	% 18,75		% 62,5
مرجعيون	حوالي 1200	0		% 25
رشاف	700	% 9,3		% 53
مركبا	750	% 45		% 45
رب ثلاثين	300	% 16,6	% 23,3	% 60
بنت جبيل	2200	% 36,3		% 36,3
صريفا	900	% 27,7	% 38,8	% 22,2
كفر شوبا	840	% 9,5	% 17,8	% 53,5
فرون	300	% 46,6	% 25	غير متوافر
عيترون	1500	حوالي 25 %		الاكثرية
راشيا الفخار	233	0		% 12,4
المجموع	14656	% 24		حوالي 42 %

بعض الاحياء سويت بالارض، في الخيام مثلا، او بنت جبيل، حيث عدد رئيس البلدية تسعة احياء مدمرة بالكامل في وسط البلدة القديمة.

(3) السيارات

تم تدمير عدد كبير من السيارات المدنية اثناء القصف الاسرائيلي . في اغلب الحالات، تضررت السيارات جراء شظايا القصف، او سحقا تحت ركام المنازل. استهدف بعض العربات مباشرة، كالشاحنات الصغيرة.

في بنت جبيل، تم احصاء اكثر من 5000 سيارة مدمرة، بينما قدرت السلطات في مركبا خسارة موقف السيارات العمومية بالكامل. في فرون، دمرت 100 سيارة و 50 عربة اخرى (بعجلتين، شاحنات صغيرة، جرارات زراعية، الخ)، و 20 سيارة في صيفا . في مرجعيون، قدر رئيس البلدية خسارة 50 سيارة، سحقتها الدبابات الاسرائيلية عند دخولها القرية.

⁵ كل الارقام الموجودة صادرة عن البلديات. بعض الاحصاءات لم يكن قد انتهى بتاريخ المقابلة.
⁶ اجرت بعض البلديات حسابات مشتركة للمنازل المدمرة بالكامل وغير الصالحة للسكن، بينما عمد غيرها الى التمييز بين الحالتين. قد يقترب مجموع المنازل المدمرة، غير الصالحة للسكن والمتضررة، من مجموع المساكن، ويشير ما تبقى الى المنازل السليمة بالكامل.

ب - التوغلات

شهدت عدة قرى في جنوب لبنان احتلالا اسرائيليا اثناء النزاع، استمر عدة اسابيع بعد وقف اطلاق النار . انسحب الجيش الاسرائيلي بكامله من الجنوب رسميا ليل 30 ايلول/سبتمبر 1 تشرين الاول/اكتوبر. ادت هذه التوغلات الى حال من الصدمة لدى السكان كما حدث من حركتهم بشكل كبير.

وادى عبور الكثير من الدبابات يوميا الى الاضرار بالطرق التي سلكتها، كما فتحت احيانا طرقا عبر الحقول كي تتمركز القوات في المرتفعات.

جرت بعض المعارك براء، وبدا من الصعوبة بمكان تقدير حجمها ومجراها، لقلة الشهادات والمعلومات حولها. ولكن يمكن القول ان المعارك كانت قاسية جدا في بنت جبيل، وجارتها عيترون، والخيام التي لم يتمكن الاسرائيليون من ولوجها ، وكذلك في رشاف ومركبا، حيث احتل الجنود الاسرائيليون جزءا من القرية.

كما ادت سيطرة القوات الاسرائيلية على نبع الماء في الطيبة الى مضاعفة حاجة السكان الى مورد للماء . فذلك النبع يروي قرى قضاء مرجعيون الى جنوب الطيبة . وشهدت تلك المنطقة بقاء الجنود واحتلال المنازل لبضعة اسابيع بعد وقف المعارك.

في عيترون ايضا، توصلت التوغلات حتى ما بعد نهاية الحرب، حيث نفذ الجنود توقيفات اعتباطية ونقلوا مدنيين الى الطرف الاسرائيلي الآخر من الحدود للتحقيق معهم . كما تم اختطاف طبيب اطفال في عيترون، يعمل في مستشفى بنت جبيل، بعيد عودته الى القرية، واحتجز في سجن عدة ايام. وقد ادلى بشهادة قاطعة: "تم (اختطافي) بعد تسعة ايام على عودتي الى القرية، لدى اخي . كان يوم الـ 24 من آب (اغسطس). املك منزلا طور البناء هنا، يبعد قليلا عن القرية، على تلة . ذهبت لاتفقد منزلي. وصلت، وكنت في الحديقة عندما التقيت بثلاثة جنود اسرائيليين امروني بألا اتحرك. كانت الساعة اثنتين الاثنا و الا عشر دقائق ظهرا. كانت ثواني صعبة، فتشعر ان دماغك معطل . كانوا يصوبون اسلحتهم نحوي . فتشوني، ثم دفعوني من الخلف لادخالي الى المنزل . عندئذ تنبهت انهم متمركزون في الطابق الثاني . كانوا 11 او 13 (جنديا)(...) لم ار اي عربية، اي مؤشر على احتلالهم (المنزل). (...)

اصعدوني الى فوق. لم ار الا دورة المياة، لا شيء غيرها، لانهم اجلسوني بمواجهة الحائط . استخدمت الحمام مرة ولا حظت ان وضعه مزر ي . جلست مواجهها الحائط طوال ست ساعات . (...) بدأوا يستجوبونني، ويسألونني مباشرة اين حزب الله . (...) قلت انني طبيب ودرست في اوكرانيا . طرحوا علي الاسئلة لمدة 15 الى 20 دقيقة. وهددوني بانني اذا لم اقل اين (عناصر) حزب الله، سيضطرون الى استخدام القوة. ثم لمدة ساعتين لم يكلمني احد. بعدئذ سالوني اذا كنت اعرف شيئا عن الجنديين الاسرائيليين المخطوفين . لم يسيئوا معاملتي، الا بالكلام القاسي . (...) كما هددوني بنقلي الى اسرائيل كي يجعلني الموساد اتكلم.

في ه ذه اللحظة مر احد جيراني ورأى سيارتي، التي كان لها وقت طويل (متوقفة). ناداني من الخارج . (...) وضع جندي اسرائيلي فوهة بندقيته في ظهري لئلا اتحرك . قبضوا على جاري ايضا . كانت الساعة حوالى السادسة مساء. (...)

خلال الليل، اصطحبونا معهم . وضعوا كيسا على ظهري . لا اعلم كم كانت الساعة لانهم اخذوا ساعاتنا . (...)

ذهبنا الى اسرائيل على الاقدام . مشينا ثلاث ساعات على الاقل . (...) اصطحبنا الى منطقة المالكية . مررنا عبر الحقول، لا في القرى . انتظرنا طوال ساعتين تقريبا في حقل، ثم اخذتنا سيارة مدنية . (...) لا اعلم الى اين اخذونا، فقد عصبوا عيوننا . سارت السيارة حوالى نصف ساعة، ربما اقل . ادخلوني غرفة فيها طاولة، جهاز كمبيوتر وكرسى . طرح المحقق (...) اسئلة كثيرة، بالعربية . طوال الليل . (...) بعدئذ كبلوا أيدينا وعصبوا عيوننا . اعدونا الى السيارة . (...) اخذونا الى سجن آخر، في م نطقة غير مأهولة . بدأوا استجوابنا بعد ساعتين او ثلاث على وصولنا . هذه الهرة كان طارح الاسئلة مدني . ا طرح الاسئلة نفسها لكن بمزيد من التهديد . دام الامر اربع ساعات على الأرجح . (...) مع نهاية الاستجواب، اخذوني الى زنزانة انفرادية، بابها حديد، لا تبعد عن ذلك المنزل . (...) قدموا لي الطعام، لكنني لم استطع ان ابتلع شيئا ما عدا الماء . (...) بعد الظهر، قالوا لنا ان الامر انتهى وسيتم تحريرنا . لكن لم يحصل ذلك . قالوا سيحصل صباح اليوم التالي، لكن لا شيء . تلاعبوا باعصابنا على هذا المنوال طوال يوم الاحد، ثم ليلا، حتى صباح الاثنين . عند الحادية عشرة والنصف، اتى الجنود وقالوا انهم سيطلقون سراخنا . عصبوا عيوننا ووضعونا في السيارة . عندما وصلنا الى الناقورة، على الحدود، من الجهة الاسرائيلية، حيث سيتم التبادل مع اللجنة الدولية للصليب الاحمر، رأيت انهم كانوا اربعة جنود . (...) "

اختلف سلوك الجنود الاسرائيليين في القرى المحتلة بين المكان والآخر . في رشاف، عمدوا الى اتلاف المنازل التي تمركزوا فيها، اثاتها وتجهيزاتها . وفي كافة الاماكن تقريبا، وجد السكان منازلهم متسخة بالبراز، وستائرهم وأغطيهم منزوعة . تركت المنازل بحال يرثى لها، باستثناء مرجعيون حيث لم تلح ظ اضرار .

كذلك اختلفت طريقة التعاطي مع السكان . ففي رشاف، امر الجنود بعض النساء بالامتناع عن مغادرة منزلهن، واحتجزوا رجلا ليلة كاملة قبل تركه . في عدشيت القصير تم قتل رجلين واحتجاز امرأة طوال 24 ساعة، بعد سريان وقف اطلاق النار . أخيرا، تم اختطاف افراد في عيترون ونقلهم الى اسرائيل بعد عدة ايام على نه اية النزاع . في هذه القرية، كان السكا ن الذين يملكون منزلا في خراجها ما زالوا في مطلع ايلول/سبتمبر لا يجرؤون على العودة اليها .

II حركة نزوح السكان

تبدو موجة النزوح السكاني العارمة، النتيجة الأبرز لحملة القصف على جنوب لبنان. ففي القرى التي شملها التحقيق، بقي جزء ضئيل من السكان في كل منها طوال الازمة. وحصل النزوح لعدة عوامل. فكثافة القصف منذ بدء العمليات، من حيث القرى المستهدفة او حجم الضربات، دفع بالسكان الى المغادرة بشكل جماعي. كما صرح البعض انهم فضلوا المغادرة لا احتمال استمرار النزاع طويلا. غير ان تجربة معايشة القصف سابقا لها تأثيرات مختلفة لدى السكان. فالبعض لم يرغب في تضخيم الموضوع، وخالوا ان الامور سرعان ما تعود الى نصابها، بينما خشي البعض الآخر من التصعيد او استمرار الهجمات فترة طويلة. تجدر الاشارة الى ان تصريحات السلطات الاسرائيلية الى السكان بانها ستعتبر، على المدى القصير، كل من يبقى في المنطقة مقاتلا، اسهمت بشكل كبير في دفع سكان قرى الجنوب الى الهرب. أخيرا، ادى التخوف من تناقص مستلزمات البقاء، بسبب الاضرار اللاحقة بمنشآت المياه، على سبيل المثال، الى دفع السكان الى الخروج. واعتبر مساعد لرئيس بلدية عيترون ان استهداف البنى التحتية المدنية في غارات جوية لم يكن الا بهدف اجبار السكان على المغادرة. غير ان الخوف من انقطاع المياه والغذاء لم يذكر غالبا كدافع للسكان الذين غادروا مع بداية الحرب - على عكس ما حصل مع تفاقم هذا النقص في ما بعد - حيث اعتمد الناس بصورة شاملة على المؤنات الغذائية المتوافرة وخزانات المياه الفردية، او تمكنوا من الحصول على مخزون المتاجر والمنازل المهجورة.

على كل حال، ان اعداد النازحين من جنوب لبنان مذهلة. وهي تشهد، في ضوء الشهادات الشخصية التي جمعتها فريقنا، على الخوف المروع الذي انتاب الناس جراء كثافة العمليات العسكرية والشعور بغياب الحماية في اي مكان. في غضون عدة ايام، فرغت القرى بالكامل من سكانها.

البلدة	عدد السكان المسجل ⁷	عدد السكان المقيمين	عدد السكان الموجودين مع بدء النزاع ⁸	عدد المدنيين الباقين طوال الحرب	نسبة المدنيين الباقين طوال الحرب (%) ⁹
الخيام	35000	7000 الى 8000	15000 الى 20000	100 تقريبا	0,5 الى 0,6
مرجعيون	30000	3000 تقريبا	غير متوافر	17	0,56
رشاف	1200	500	غير متوافر	23	4,6
مركبا	11000	3000-2500	-2500 الى 3000	120	4
رب ثلاثين	4500	1000 تقريبا	1100 تقريبا	0	0
بنت جبيل	54000	7000	15000	60	0,4
صريفا	12000	9000	11500 تقريبا	2	0,017
كفرشوبا	8500	1600	3000 تقريبا	0	0
فرون	3000	2600	2600	5	0,2
عيترون	16000 الى 17000	6000	10000	60	0,6
راشيا الفخار	3800	400 الى 500	غير متوافر	0	0
المجموع	179500	41400	67400 تقريبا ¹⁰	387	0,57

بعد عشرة ايام على الاكثر، ادت معايشة النزاع القاسي، والهجمات المركزة على المنشآت والمسكن المدنية وتفاقم الظروف المعيشية والامنية الصعبة، الى اقناع العائلات المتبقية بالمغادرة. وتمت المغادرة، لا سيما المتأخر منها، في ظروف صعبة جدا.

اما الافراد الذين لم يرغبوا في المغادرة في الفترة الاولى، لاعتيادهم على القصف الموضوعي وتوقعهم توقف الهجمات في غضون يومين او ثلاثة، فوجدوا انفسهم عاجزين عن الحركة عند تفاقم الازمة، او بمواجهة مصاعب نجمت عنها. في الوقت نفسه كانت الطرقات المحيطة بقريتهم قصفت، ولم تعد سياراتهم تستطيع عبورها، و/او تتعرض للقصف تقريبا كلما حاولت، او ان جزءا من عوائلهم غادر بالسيارة في وقت سابق، كحال بعض المسنين الذين رفضوا المغادرة مع اولادهم عند بداية النزاع. بالتالي، اضطر من اراد المغادرة قطع مسافات طويلة سير، اذا استطاع، مخاطرا بحياته، نظرا لمنع أي تجول واعتباره تحركا للمقاتلين، ما يجعله هدفا للقصف.

⁷ جمع فريقنا الارقام الواردة في الجدول من البلديات وبعضها من مصادر مستقلة.

⁸ تقليديا، يتضخم عدد السكان المقيمين صيفا، لوفود متحدرين من القرى، يقيمون في بيروت او في الخارج. هذه الظاهرة تشرح ايضا الفوارق بين اعداد المنازل واعداد السكان المقيمين. فنظرا الى اندلاع النزاع مطلع الصيف، لم يكن المصطافون قد وفدوا كلهم بعد.

⁹ النسبة المحتسبة على اساس اعداد السكان الموجودين مع بدء النزاع، او السكان المقيمين.

¹⁰ بدون معرفة عدد السكان الموجودين مع بدء النزاع، يتم التقدير على اساس السكان المقيمين.

عائلة من صريفا تخبر الظروف الخطيرة لمغادرتها. "كانت الطرقات كلها مقطوعة، تعذر علينا الهرب. منذ اول أيام الحرب، قصفوا الطرقات والجسور. (...) في الساعة التاسعة صباحا، استقلت وعائلتي السيارة محاولا الهرب. وجدنا الطرقات مقطوعة بركام المنازل. هناك طريق آخر الى الوادي عبر وسط البلدة. لكننا تعرضنا للقصف مرتين على تلك الطريق، فعدنا ادراجنا. (...) تركنا السيارة ومشينا على ضفة النهر للوصول الى القرية المجاورة".

بات القصف الفوري للسيارات العابرة حجة اساسية لبعض الذين لزموا منازلهم، بعد مقتل مدنيين على الطرقات جراء القصف.

ويشكل المثال الافضل على ذلك، وليس المثال الوحيد، قصف قافلة من المدنيين اثناء اخلائها بلدة مرجعيون. في 11 آب/أغسطس، بالتزامن مع التوغل العسكري الاسرائيلي، تجمع السكان وقرروا الهروب من مركز البلدية بمواكبة من الجيش اللبناني، الذي كان يغادر قاعدته ايضا. وحكى مواطن كان من ضمن الاخلاء الجماعي، ان القافلة تعرضت للقصف، في مقدمها والى جانبها، مرتين بين مرجعيون وقرية كوكبا المجاورة. "لم نأخذ الطريق الرئيسية، حيث وجدناها مقللة بالحجارة، فعدنا ادراجنا وتوجهنا الى الحقول. استغرق وصولنا الى كوكبا ساعتين". لاحقا على الطريق، نقل خبر القاء الطيران الاسرائيلي ثماني قذائف على القافلة، اصابت احداها سيارة للجيش اللبناني. وافادت مصادر مختلفة لمنظمات دولية موجودة على الارض، اكدها بيان اصدرته قوات الطوارئ الدولية اليونيفيل¹¹، أن الضربات كانت مقصودة. وسبق ان اصيب الشاهد بجروح وحروق خطيرة اثناء قصف منزله، لكنه هذه المرة اصيب بشظايا كثيرة. لقي سبعة اشخاص حتفهم في هذا القصف، وبينهم طبيب، ومتطوع في الصليب الاحمر اللبناني، وزوجة احد مختار مرجعيون، بينما جرح 36 شخصا.

في صريفا، قتلت فتاة اثناء قصف شاحنة صغيرة تقل ثلاثة عشر فردا من عائلتها اثناء محاولتهم الهروب. كذلك في صريفا، عادت عائلة ادراجها عندما تعرضت سيارتها لضربات محاذية. ويعد مساعد رئيس بلدية عيترون مقتل ستة مدنيين عند قصف سيارتهم في البازورية، اثناء محاولتهم الهروب. وأشار مدير مستشفى تبينين الى عائلة من سبعة اشخاص اختفت في ظروف مشابهة في عين ابل. في حالة اخرى في 25 تموز/يوليو، كانت السيارة تنقل زوجا في الخمسينات، وامراة عمرها 34 عاما، واربعة اولاد بين 8 و14 عاما، تمكنوا من تركها (بعد قصفها) ومواصلة الطريق سيرا على القدمين الى تبينين.

في هذا الوقت، اضطر ذوو الوضع الصحي الهش، المقعدون او المسنون، الى مراوحة مكانهم، محتجزين، طوال فترة النزاع.

¹¹ اليونيفيل، 12 آب/أغسطس 2006: "يطلب من الحكومة اللبنانية، اتصلت قوات اليونيفيل مع الجيش الاسرائيلي لتسهيل انسحاب القوة الامنية المشتركة اللبنانية من مرجعيون امس. واعلمت القوات الاسرائيلية اليونيفيل بانها موافقة على هذا الطلب. بعد ظهر امس، غادرت بلدة مرجعيون قافلة تضم القوة الامنية المشتركة (87 سيارة تحمل حوالي 350 عنصرا من كافة الرتب) وقوى الامن الداخلي (10 سيارات فيها حوالي 40 عنصرا) وحوالي 100 سيارة مدنية. واعلمت اليونيفيل الجيش الاسرائيلي بالقافلة وطريقها المحددة الى بيروت عبر البقاع الغربي. وسارت القافلة خلف مدرعتين لليونيفيل الى خارج ابل السقي. (...) حوالي الساعة العاشرة ليلا، اعلمت السلطات اللبنانية اليونيفيل ان القافلة تعرضت لغارات اسر انيلية في منطقة كفرنا في البقاع الغربي، ما ادى الى سقوط ضحايا بين قتلى وجرحى. نقلت اليونيفيل هذه المعلومات الى الجيش الاسرائيلي، وطلبت منه وقف مهاجمة القافلة على الفور. اليوم، ويطلب من السلطات اللبنانية، طلبت اليونيفيل من الجيش الاسرائيلي ضمان امن القافلة كي تواصل طريقها الى بيروت." (المصدر: ReliefWeb)

المدنيون في الفخ

ذكر الحيز الاكبر من المدنيين الباقين اسباب مادية او معنوية ملزمة لبقائهم، باستثناء مواطنة من صريفا في الـ36 من العمر اخذت قرارها بالبقاء حتى نهاية النزاع كخيار سياسي . وصرحت انها ارادت ان "تعيش التجربة مع المقاومين، لدعمهم وتوجيه رسالة للسكان الآخرين، بضرورة الا يمسا كالفلسطينيين، الذين غادروا قراهم وفقدوا مفاتيح منازلهم".

وغالبا ما ذكر غياب السيارات، الذي عانى منه بشكل اساسي المسنون والعائلات الفقيرة. اوضحت مواطنة من الخيام في الـ68 من العمر: "بقينا في الخيام لان جيراني بقوا. ولكن عندما بدأ القصف (...)، غادروا بالسيارة. بالنسبة لنا، كان الركاب قطع الطريق وتعذر الخروج من الحي بالسيارة".

تجدد الاشارة الى وضع الطرقات الذي ساهم بالفعل في الحد من امكانية المغادرة . وتؤكد المعاينات على الارض ان مداخل القرى قصفت عن عمد وشكلت عائقا اساسيا لمغادرة المدنيين، ما يتناقض والدعوة الى مغادرة المنطقة.

كما قرر البعض البقاء لانقاذ مورد رزقهم الوحيد، لا سيما اصحاب مزارع الحيوانات . في رشاف، عاشت عائلة بكاملها هذه الفترة المريعة، ولم تستطع انقاذ الا جزء ضئيل من قطيعها . "بقينا في القرية لاننا كنا نملك الماعز وابي ظن ان (الازمة) لن تطول. لاحقا، وصلتنا اخبار عن قصف السيارات واستشهاد الناس". في رشاف ايضا، بقي رجل آخر للاهتمام ببقراته، لكنه عجز عن انقاذها واصيب بجروح

في الخيام، بقي تاجر احذية في اسواق المنطقة، فترة قصيرة لحماية شاحناته الصغيرة المستهدفة لانها مورد رزقه الوحيد.

أفاد الكثير بمسؤوليتهم عن اشخاص عاجزين يعتمدون عليهم، كاحد سكان الخيام، في الـ83 من العمر، الذي لم يود ان يترك زوجته المقعدة : "لم استطع الذهاب لان زوجتي مقعدة . بقيت لاهتم بها . انا في الـ83، ما زلت بصحة جيدة! زوجتي تأكل جيدا لكنها عاجزة عن الحراك . مع كل قصف، كانت تسألني عما يحدث، لان الارض تهتز. كنت اقول لها "لا شيء، لا شيء، عودي الى النوم". وفي الوقت نفسه، كنت اعلم اننا اذا متنا، ما من احد ليدفنا ". رجل آخر من فرون عجزت زوجته عن ا لمسير طويلا بما يضمن امنهما، اتخذ ايضا القرار نفسه: "زوجتي لا تستطيع السير بسرعة، ما يعني اننا قد نستهدف من الطائرات . كنت استطيع المغادرة، لكن لا استطيع ترك زوجتي". في حالات الحركة المحدودة، التي تطل الافراد الاكثر وهنا، غالبا ما يكون هؤلاء من المسنين، ادى غياب السيارة الى اقصاء اي امل بالفرار.

أحيانا، ادى تصافر عوامل عدة الى اجبار بعض العائلات على البقاء . في رشاف، مثلا، بقي رجل مع والديه، زوجته، وثلاثة أطفال: "والداي عاجزان، لذا عند بدء الحرب، قررت البقاء لانني لا استطيع نقلهما الى اي مكان ولا تركهما وحيدين. لا املك سيارة ولاحقا تم قطع الطرقات. تدهورت الحالة سريعا. بات عدد القتلى على الطرقات اكبر مما اذا لزموا منازلهم".

هكذا تم اخلاء القرى من جميع قاطناتها، باستثناء افراد ضعفاء ومعزولين.

III ظروف حياة المدنيين الباقين

من الانسب الكلام عن ظروف البقاء عوضا عن ظروف الحياة . فمدى الاضرار الناجمة عن القصف على البنى التحتية العامة والمساكن الخاصة ادى على الفور الى عواقب على الحياة اليومية . وتفاقم هذا الخلل مع مرور الاسبوع، على كافة المستويات الى درجة استحالة اي نشاط، والتأثير على حالة السكان الصحية.

أ- غياب الأمن في القرى

1) عدم احترام الحق بالحياة وبالتمام الجسدي

يفرض القانون الدولي الانساني واجب حماية المدنيين في وقت النزاعات المسلحة، حيث ينبغي تمييزهم عن المقاتلين. غير ان المدنيين الذين بقوا في قرأهم تعرضوا لتهديدات متواصلة لحياتهم وبقائهم، في بادرة استهتار بواجب التمييز والحماية . في كافة القرى المعانة، كانت الاضرار فادحة، غير متكافئة والبنى التحتية متضررة كثيرا، سيان وجود مقاتلي حزب الله ام لا، وكون القرية معقلا لهم ام لا. بالطبع اثرت هذه العوامل بدون شك على قوة الضربات والدمار . ولكن لم تحيد اي قرية شيعية، وبعضها تعرض لقصف عنيف قبيل دخول القوات (الاسرائيلية). برأى الكثير من المراقبين الدوليين، تبرز الاضرار الفادحة والعمليات العسكرية التي سببتها ، نية في العقاب الجماعي للسكان، "المدنيين" بالسماح لوجود منظمة مسلحة.

يبقى ان الجزء الاكبر من الخسائر في الارواح سقط جراء القصف. في الواقع، لا يبدو ان المساكن المدنية او المباني العامة، بما فيها دور العبادة، شكلت ملاجئ آمنة ، ما يسمح لنا بالاعتبار ان اي وسيلة للحماية لم توضع لضمان امان المدنيين.

في قرية راشيا الفخار المسيحية، المحاذية لمزارع شبعاء الاستراتيجية والحساسة، التجأ ما لا يقل عن 120 مدنيا اغلبهم من النساء والاطفال، الى الكنيسة الارثوذكسية الصغيرة في القرية عند بدء الغارات الاولى . بعد اسبوع، تعرض الصرح الديني لضربة بالقذائف، وصفها رئيس البلدية وشاهد كان في الكنيسة بانها متعمدة، لا سيما بالمقارنة مع الضربات السابقة تاريخيا. واقدم المؤمنون على الفرار بعد اصابة ستة منهم بجروح طفيفة، وقبل سقوط قذيفة ثانية، لم تنفجر لحسن الحظ، بمحاذاة المجموعة بينما اصابت ثلاثة سقف الكنيسة.

أصيب اغلب الضحايا المدنيين، من قتلى وجرحى، في قصف المنازل الخاصة. وأصر كافة الشهود الذين سألناهم، ممن جرحوا، او اقارب ضحايا او شهود عيان، كلهم يعرفون ضحايا القصف، على الصفة المدنية للضحايا. ومع تعذر تأكيد هذه المعلومة رسميا حول كافة الضحايا، ونفي وجود مقاتلين من ضمن عائلة بشكل قاطع، قد يشكل العمر والجنس ادلة على الطابع المدني لكثير من الضحايا.

في اغلب الحالات افيد عن مسنين، قصف منزلهم او مكان لجوئهم، او اعتبروا اهدافا لانهم تجولوا في القرية. في الخيام، يذكر العاملون الطبيون في المستوصف الذي تديره مؤسسة عامل بدعم من "أطباء

العالم"، حالة زوج من المسنين، تفتتا اربا اربا في منزلهما. لم يتم العثور على جثتيهما ولكن عثر على العكاز الذي كان الرجل يستخدمه للتنقل.

كذلك في الخيام، قتل مسن آخر في قصف منزل مجاور لمنزله، ما ادى الى سقوط الركاب عليه . وتقول ارملة: "كنا في احدى غرف المنزل عندما سمعنا الفذائف . سقطت واحدة على محطة الوقود في الاسفل، والثانية على المنزل قربنا. عندئذ لم نستطع رؤية شيء. كانت الساعة حوالي 7 مساء، يوم 24 تموز/يوليو. (...). بعد ان خرج سقطت قذيفة قريبة . (...) لم نعد نرى شيئا بسبب الركاب والغبار. بدأت انادي واجابني زوجي. "تعالى ازيلى ما سقط علي". كنت عاجزة عن الرؤية . ابني كان في الخارج ايضا، سقطت عليه شجرة. رفعت الشجرة وذهبت لاجد زوجي. كان قابعا تحت عامود من الاسمنت. حاولت رفعه ولم استطع". نازع زوجها خمس ساعات قبل وفاته.

وخسرت ربة منزل من عيترون طفلا من ثلاث سنوات وزوجها، بينما بقيت على قيد الحياة هي وأطفالها الثلاثة الاخرين الذين يبلغون من العمر بين 4 و14 عاما. جراء قصف هذا المنزل ليل 17 الى 18 تموز/يوليو حيث تجمع 22 شخصا، قتل تسعة اشخاص، بينهم خمسة اطفال بين 5 و15، وشاب يبلغ الـ 17 من العمر، وثلاثة بالغين بينهم امرأة . "يقولون ان القصف حدث في الساعة 12.30 ليلا. انا سمعت صوتا يشبه "نك"، لا "بوم". احسست ن شيئا يلمس اعلى رأسي . كانت صدمة، لا اعلم في الحقيقة ما حصل لي، كان شيئا غريبا . (...) وجدت نفسي تحت الركاب برفقة ابنتي الاثنتين . قالتا لي "امي، ساعدينا، نعجز عن التنفس". امسيت كالمجنونة . حاولت ازالة الركاب وتمكنت من التقاط يد ابنتي الكبرى لثواني . كانت تحاول النهوض . كانت المرحلة الاخيرة هي الاصعب، لاننا كنا عاجزان عن التنفس . بدأت الأحجار والغبار تدخل انوفنا، وافواهنا، واذنينا، وفي كل مكان.



انقطع عنا الاكسيجين. كنت على الارض في وضعية الجلوس، وذراعي اليسرى عالقة في الهواء . حاولت مساعدة ابنتي بيدي الاخرى. وصل بعض الاشخاص وبدأوا يبحثون. رأوا يدي اليسرى العالقة. قالوا "انهم هنا، انهم هنا!" وبدأوا ازالة الانقاض. تمكنوا من اخراج رأسي وتمكنت من التنفس. قلت ان اولادي قربي وما زالوا احياء . رجل ابنتي الكبرى كانت فوق رأسي، فعندما انتشلوني، انتشلوها ايضا . لكن الصغرى كانت في الاسفل، تحت كنبه . لم يخرجوا الا نصفي الاعلى كي استطيع التنفس، لكن رجلي ما زالتا تحت السقف. كانت لابنتي الكبرى بقعة سوداء هائلة على وركها، اعلى فخذاها. وكانت متورمة. لم تستطع السير طوال اسبوع.

في البداية انتشلوا ابنتي، وقلت لهم انني اعرف اين زوجي وابنائي . لم اعلم حينئذ انه جراء ضغط القنبلة طار احد ابنائي من الشباك وسقط بين ذراع خالتي قربنا".

يعود العدد المتدني نسبيا للمدنيين القتلى الى نزوح السكان جماعيا في المراحل الاولى (من النزاع). ووقعت الخسائر الاله في تموز/يوليو، في الايام الاولى على النزاع، قبل نزوح اغلبية السكان . ويتكلم الشهود في هذه الحالات عن "مجزرة"، عند مقتل الضحايا باعداد كبيرة في منازل تجمعوا فيها، بشكل عام كعائلة. ادى

الامر الى اخلاء القرى، كحال صريفا حيث اق دمت العائلات الباقية في الاخير ع لى الفرار مرتعبة ومصدومة، على القدمين.

القرية	المقيمون الدائمون	المدنيون الباقون اثناء الحرب	وفيات المدنيين اثناء النزاع ¹²	الجرحي المدنيين أثناء النزاع 10
الخيام	7000 الى 8000	حوالى 100	3	حوالى 10
مرجعيون	حوالى 3000	17	0	1
رشاف	500	23	1	9
مركبا	3000 - 2500	120	1	7
رب ثلاثين	حوالى 1000	0	4	0
بنت جبيل	7000	60	13	غير متوافر
صريفا	9000	2	34	3-2
كفرشوبا	1600	0	4	10
فرون	2600	5	5	10
عيترون	6000	60	33	27
راشيا الفخار	500-400	0	0	6

بعد الانتباه الى خطر انكشافهم امام الجيش الاسرائيلي، الذي لا يأخذ كونهم مدنيين بعين الاعتبار كذلك، اقدم بعض السكان طوعا على الانعزال لايام طويلة، بعيدا عن اي محاولة مساعدة، التي احيانا بادر بها مقاتلون من حزب الله.

صرح زوج مسن من فرون "في البداية، لم تكن نريد ان يبقى المقاتلون قريبا، لاننا لم نرد ان يرى الاسرائيليون اي حركة فيقصفوننا . في الايام العشرين الاولى، لم نبارح المنزل " . واثبتت لهما الاحداث التالية ان توخيها الحذر كان صائبا . " في احد الايام، دخل مقاتلو حزب الله الى منزلي وطلبوا منى الم غادرة، لانهم سمعوا باللاسلكي ان منزلي سيقصف لان الاسرائيليين المتمركزين في الطيبة، على التلة المقابلة، رأوا احدهم يشعل ولاعة لدي . في البداية بقينا في المنزل، لاننا كنا نسمع الطائرة . عندما ابتعدت، انتقلنا الى منزل الجيران، وقصف منزلنا بعد نصف ساعة".

كذلك، نجمت اصابة الجرحى المدنيين من القصف . واصيب موظف متقاعد في مرجعيون بجروح خطيرة عند سقوط قذيفة على منزله.

"كنا جالسين على الشرفة، مع الجيران، حوالى عشرة (أشخاص) تقريبا، عندما قصف سوق القرية . احدهم مر يسأل اذا اردنا الذهاب لتفقد المكان . (...) في تلك اللحظة سمعنا صوت صاروخ . خرجت الى الشرفة لارى اين سقط، رأيت الدخان . عندما دخلت، سقط صاروخ آخر قرب منزل اخي ورأيت الزجاج مكسورا . ناديت زوجتي لاحتها على المغادرة . دخلت الغرفة، وعندئذ، كنت اهم بفتح الباب للخروج، اخترق صاروخ آخر الحائط، اجتاز الغرفة واكمل طريقه عبر المنزل الى الصالون، حيث سقط على الكنبه . جرحت الشظايا مؤخرة رأسي، وظهري ا سود، محروق . كانت قنبلة فوسفورية، تغير لون الرخام في الارض، انظروا، هناك بقعة بيضاء كبيرة . قال لي الجراح الذي عاينني في مستشفى مرجعيون انه حرق جراء الفوسفور . لم

¹² المصدر الرسمي للسلطات المدنية المحلية

تتفجر القذيفة بالكامل . امتلأت الغرفة بالدخان، ولم اعد استطيع التنفس . نادتني زوجتي وعجزت عن اجابتها. خالتي ميتا."

تفيد اغلبية الحالات المذكورة عن جروح جراء الركام الذي ولدته الانفجارات . فقد تعرض الضحايا لقطع صغيرة من الحجارة، والمعدن، والاسمنت.

في مركبا، عمدت عائلة مكونة من زوج مسن، وطفلين معوقين عقليا، الى الاختباء في الملجأ الذي تعرض للقصف. الابنة الاخرى، في العشرين من العمر، تروي الاحداث : "في البداية، كان والداي، واخي واختي في المنزل. قصف البيت. نزلوا الى الملجأ، الذي قصف بدوره . تمكنت امي من الخروج للقاء اشخاص من القرية اتوا لمساعدتهم على ال خروج. كان الباب موصدا جراء الركام من القصف . نظفوا المنزل قليلا ووضعوهم هنا واسعفوهم قليلا . كانت لديهم شظايا صغيرة من الحجارة والقذائف في جلداهم . نظفوا الدماء وبقوا 15 يوما مع الشظايا في جسمهم. (...) ابي جرح في قدمه ورجله. كما اصابته شظية في العين. اختي اصيبت في وجهها، صدرها ورجليها". اضافت الوالدة انها اصيبت في كل جسمها، وكذلك ابنها الذي اصيب رأسه ايضا.

(2) الحرمان من حرية الحركة

سبق ان ذكرت القيود على التنقل كسبب لاعاقه هروب المدنيين . من جهة، قطعت الطرق المقصوفة ما عقد صعوبات مغادرة المناطق المستهدفة، ومن جهة اخرى، ادى تواصل العمليات العسكرية وتعذر توقعها، الى تفاقم خطورة اي محاولة للتنقل، لا سيما في السيارات . وخضع التنقل الى طلب اذن من السلطات الاسرائيلية، كما اكد عدة محاورين، بما فيهم اليونيفيل . واشير الى عدة احداث تم فيها اطلاق النار على سيارات مدنية اثناء تنقلها.

من المؤكد ان القيود على الحركة، التي شكلت اساسا لعدم الامان الشامل الذي ساد في المنطقة، اثرت بشكل كبير على السكان الباقين . ففي الحقيقة لم تستهدف القذائف السيارات فحسب، بل المشاة ايضا، في القرى وخارجها. فالطيران الاسرائيلي طبق تحذيره باعتبار اي بشري موجود في المنطقة مقاتلا. هذه الاستراتيجية رفضت عمدا الاخذ بعين الاعتبار واجب التمييز المفروض بالقانون، وعجزت عن التوافق مع حقيقة وجود بشري ضئيل بالطبع، ولكنه مدني بالاضافة الى العسكري . افاد كافة الاشخاص المستجوبين بانهم عاشوا بترقب الطيران الاسرائيلي، فالتجأوا في المنازل، او عند الامكان، في أقبية، اثناء الغارات، واستغلوا فترات الهدوء، التي صارت تتضاءل، لا بل انعدمت مع نهاية النزاع، للخروج والتزود بالمؤونة، من المنازل المجاورة او المتاجر المتوافرة. امسى السكان في القرى المحاصرة سجناء منازلهم.

في صريفا "قتل ايضا ثلاثة اشخاص حاولوا الفرار عبر الحقول ، وهما شقيقين وكهل في الستين من عمره قرر الذهاب معهم". كما قتل رجل ستيني في ظروف مشابهة: "هرب من منزله وحاول الذهاب الى (منزل) اخيه. عند وصوله، تم قصف المنزل، فاصيب بشظية قاتلة". وتصف شهادة رجل من فرون، 75 عاما، هذا الموضوع ببلاغة: "(...) اضرت ان اخرج من القرية مرتين للذهاب الى قععية الجسر، لاننا انقطعنا من الخبز. ذهبنا وحدي في المرتين، مشيا على القدمين . هي تقع على مسافة 9 كلم تقريبا. استغرق الذهاب والاياب حوالي ساعتين، ساعتين ونصف في المرة الاولى. وقتنذ لم تحصل اي مشكلة. في المرة الثانية، في طريق عودتي، واثناء عبوري النهر، رأنتي الطائرة . حاولت الاختباء. وجدت شجرة تين حاولت الاختباء تحتها. ثم اجترت كرم زيتون. واضطرت لاقطعه ان اتقدم 100 متر جاثيا على ركبتي. عند وصولي الى

القرية، تسللت بين المنازل، التصقت بالجدران. استغرق الذهاب والاياب ست ساعات الى ست ساعات ونصف. ذهبت صباحا وعدت مساء . قصفت الطائرة عندما كنت تحت شجرة التين، على بعد 10 امتار مني".

كذلك في فرون، لم يعثر على جثة امرأة اعلن عن اختفائها منذ محاولتها الفرار من القرية على قدميها، قبل الاول من ايلول /سبتمبر، على مسافة كبيرة من النهر . شوهدت آخر مرة وهي تحاول اجتياز النهر عند قصفه، فأدى ضغط الانفجار الى دفع جثتها التي عثر عليها في حال سيئة.

في رب ثلاثين، يقول ابن سيدة مسنة : "كانت امي لدى الجيران، امضت الليل عندهم . صباحا، عادت الى المنزل. ما ان همت بالدخول الى البيت حتى قصفته الطائرات. قتلت على الفور".

على غرار هذه السيدة، اجبرت اكثرية المدنيين الباقين في قراهم على تغيير مكان مكوثهم، وغالبا مرات متعددة. وتعرضت المساكن المتوالية التي لجأ اليها البعض للقصف . من الصعب الجزم اذا كانت هناك نية للقضاء على اي وجود بشري او اذا كانت الفدائف تستهدف المنازل لدوافع أخرى.

في حال القرى التي احتلها الجنود الاسرائيليون، اتخذ شعور السكان بعدم الامان طابعا آخر. في رشاف، عاشت سيدتان في منزل محاذ لبيت احتله الجنود الاسرائيليون ولم يسمح لهما بال خروج في الايام الثلاثة الاخيرة على وجود الجيش الاسرائيلي هناك . كما تمكن المدنيون الخمسة الذين بقوا في فرون الى النهاية من قضاء عدة ايام في مرآب تحت الارض في احد المساكن التي احتل طوابقها العليا جنود اسرائيليون. اخبرنا الزوج الذي عاش هذه التجربة النفسية الصعبة كيف انهارت اعصاب احد الموجودين في هذه الازمة، فاراد تسليم نفسه الى القوات المحتلة : "دخل الاسرائيليون صباح الاحد وغادروا صباح الثلاثاء. لم يعثروا علينا . فالبيت الذي اختبأنا فيه يشبه الملجأ، وجلسنا في زاوية لا ضوء فيها . (...) انه منزل من طابقين، وتمركز الاسرائيليون في الطابق الاعلى . (...) جلس كل منا في زاوية ولم نتحرك . استخدم الاسرائيليون الكلاب، للعثور على الاسلحة وبالتالي على المقاتلين . اقترب الكلاب من الباب الكبير . هربنا على قوائمنا الاربعة الى طرف الغرفة المقابل . (...) سمعنا لهات الكلب وراء الباب . (...) احد الموجودين عانى من الام في الرأس، وكان يغمى عليه احيانا. قال انه يريد الذهاب الى الاسرائيليين لانه لا يتحمل هذا الوضع. لكننا لم نتركه يفعل".

في عدشيت القصير، امست امرأة اسيرة الجنود الاسرائيليين، بينما قتل اشقاؤها الذين تصفهم كرعيان حملوا راية بيضاء للتوجه الى ماشيتهم في خراج البلدة، عندما فاجأهم الجنود الاسرائيليون على الطريق . وهؤلاء يشكلون الحالة الوحيدة لمقتل المدنيين بالرصاص في القرى التي شملها التحقيق . عاشت المرأة فترة اسرها في الخوف وعدم الإدراك . " لدينا ماشية، ماعز وخراف، واسطبل خارج القرية . اثناء الحرب، نقلنا الحيوانات الى المنزل. لكنها احتاجت الى الماء، فهربت وعادت الى الاسطبل . لذلك كان علينا ان نذهب لرؤيتها. هنا، سمعت صوت اطلاق نار . على الفور فكرت "انهم" قتلوا اخوتي. لم أفكر، بل اندفعت لرؤية اخوتي. صادفت على طريقي جنودا اسرائيليين قبل الوصول الى الاسطبل . (...) كانوا حوالى الخمسين، على ما اظن. قلت لهم انني اريد رؤية اخوتي (...). اجابوا انهم لم يروه، لم يتركوني اغادر واسروني. اخذوني الى اسفل الوادي . عند وصولي، كان هناك المزيد من الاسرائيليين . كانوا كثيرين، في مدرعات متراصة، ربما 100 او 150، سالوني اين الذين كانوا معي. اجبتهم الا احد كان معي الا جنودهم. قال "لا تكذبي، والا ذبحتك". فككت وشاحي وقلت له "تعال، ادبطني". اخذوني معهم، عبر الوادي، سيرا على القدمين. عندئذ كنت تعبت كثيرا، وسألتهم ماذا يريدون مني، انني امرأة متعبة . سألني جندي ماذا احمل . رفعت ثيابي وقلت انني لا احمل شيئا. في هذه اللحظة تركوني اغادر، اعطوني قنينة من الماء. تسلقت التلة

عائدة الى القرية. عند وصولي، صادفت جنديا اسرائيليا آخر. سالني من اين اتيت، اجبت "كنت مع جنودكم"، وبرزت القنينة التي اعطوني اياها. أدخلني الى منزل، كان فيه حوالي 50 (عنصرا). سالني جندي السؤال نفسه، واجبت بالشيء نفسه. طلب مني عدم الكلام، وانني ساقى هناك ساعتين. كان الاحد (ملاحظة التحرير: 2006-08-14). التقيت باول مجموعة من الجنود عند العاشرة صباحا، عند مقتل اخوتي. بقيت في ذلك المنزل حتى الغروب. ثم غادروا المنزل واخذوني معهم. (...) في المنزل الثاني بدأت انتحب كثيرا، واقول انهم اكدوا لي انني ساقى ساعتين فقط. كرر احد الجنود طلبه بان اصمت. (...) بقيت حتى الصباح، وكررت السؤال اذا كانوا سيتركونني. وضعوني في الحمام. كانوا اوثقوا يدي من الامام بقطعة قماش ممزقة من الاغطية. بقيت حتى الظهر. لم اسمع اي صوت في الخارج، ففككت وثاقي باسناني. (...) خرجت لانني ظننت انهم، حتى لو عادوا، سيقتلونني. (...) في الليلة التي امضيتها في المنزل الثاني مكثت طوال الليل جالسة القرفصاء في زاوية، انتحب كل الوقت. كان احدهم على الباب، والآخر نائمين على الارض. وقلت دوما "لماذا فعلوا ذلك بنا، لم نطلق النار، لم نقترف شيئا". (...) لم اتعرض لسوء المعاملة باستثناء مرة واحدة، عندما كنت في المنزل الاول. كنت ارفض الخروج معهم، اردت العودة الى منزلي لرؤية والدي المسنين، ومعرفة ما حصل لاختوتي. فضربني جندي على مؤخرة رأسي وقال "يلا بيمشي!" وعندما ابكي، كانوا يضحكون. (...) عرضوا علي الطعام، فرفضت. (...) رفضت الشرب ايضا. (...) عندما خرجت، لم ار اي وجود اسرائيلي، لم ار احدا. للفني خفت ان اجدهم مجددا، فبدأت اركض. وجدت عائلتي في الطريق. كان يوم الاثنين (...)."

كما اثر الحد من امكانية التحرك الذي فرضته الع مليات العسكرية على كافة نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة، كما سنرى لاحقا. بات مستحيلا قطف المحاصيل، والاعتناء بالماشية، ومواصلة التجارة او غيرها من النشاطات المهنية. وامسى مستحيلا، بسبب وضع الطرقات وخطر التحول هدفا للقصف، التنقل من قرية الى اخرى للتزود بالهؤن، حيثما تقل المتاجر في القرية كحال رشاف او فرون. وبات صعبا الخروج من المنزل الى القرية للتزود بالماء، والغذاء، واستشارة طبيب او الحصول على الادوية.

ب. حصول السكان على الحاجات الحيوية

لم تنجم المشاكل الصحية بصورة كبيرة من تعذر الحصول على الغذاء، لكنها تنوعت، على الاخص بسبب الصعوبات الكبرى امام وصول المدنيين الى العلاج طوال فترة النزاع.

1) وصول السكان الى مرافق العلاج، والمعالجين الى السكان

* الفراغ الطبي في القرى

شكل غياب الطواقم الطبية في اكثرية القرى احد الاسباب المباشرة التي اثرت على صحة المدنيين اثناء النزاع، ما ادى الى اغلاق البنى الصحية، التي تعرض أغلبها ايضا الى الاضرار جراء القصف. من الصعب تقييم الطابع الارادي والمنتظم لاستهداف هذه المؤسسات، التي اقتصرت اصابتها احيانا على الشظايا، لكن مما لا شك فيه هو وقع الضرر اللاحق بالمؤسسات واغلاق مراكز العلاج على وضع السكان الصحي.

البلدة	العديد الطبي اثناء النزاع ¹³
الخيام	طبيب واحد ممرضتان
مرجعيون	مستشفى (بقدره محدوده؛ اغلق في الساعات الـ 48 الاخيرة) الصليب الاحمر اللبناني (ما عدا في الساعات الـ 48 الاخيرة)
رشاف	كلا
مركبا	كلا
رب ثلاثين	كلا
بنت جبيل	مستشفى (بقدره محدوده)
صريف	كلا ثلاثة صيدليات
كفرشوبا	كلا
فرون	كلا
عيترون	كلا
راشيا الفخار	كلا
تبينين	مستشفى (بقدره محدوده) الصليب الاحمر اللبناني (بقدره محدوده)

تثبت المعطيات والشهادات المجموعة بان السكان اضطروا ان يتدبروا امرهم بدون مساعدة طبية. في تلك الظروف، بلغت المعاناة اقصاها جراء انقطاع العلاج لدى المرضى المزمنين، وغالبا ما يكونون من المسنين.

¹³ المعلومات قدمتها السلطات البلدية وأفراد محليين

وحصل ان قدم مقاتلو حزب الله ما نقص من الادوية، كما حدث في الخيام، عندما كانوا ما زالوا يتمتعون ببعض من حرية التحرك . "امن شباب حزب الله الادوية لان امي مريضة بالسكري . (...) اثناء القصف، كانوا يمرون بانتظام للاطمئنان على صحتنا. أختي ايضا، التي تعرضت لذبحة قلبية في السابق، كانت تأخذ علاجاً، لديها مخزون صغير منه، ولاحقاً، امن لها الشباب دواءها . لم ينقطع العلاج، لا ارتفاع حرارة ولا مرض". في صريفا، تلقى رجل يعانى من مشاكل في الظهر، علاجه من ممرض في حزب الله: "صهري لديه ديسك في ظهره وعانى كثيراً . عادة يأخذ الحقن . اثناء الحرب، تلقى حقنه من ناشط في حزب الله، ممرض مقاتل . تلقى حقنة في اليوم، لمدة 12 يوماً". لكن بعض المرضى لم يحالفهم حظ تلقي العلاج الطبي. فمستوصف مؤسسة عامل في الخيام اشار الى انقطاع عمليات غسل الكلى اثناء النزاع

يصف رجل من رشاف الصعوبات التي مرت بها عائلته : "ابي يتابع علاجاً مزمناً . وبقي 20 يوماً بلا علاج. الان تحسن الوضع، تلقينا ادوية. احد اولادي يعاني من مشكلة تؤدي احياناً الى احتباس البول، لكن لحسن الحظ، لم تحدث اثناء الحرب ". كما اعرب بعض المسنين عن حسن حظهم لعدم مرضهم، مدركين استحالة الحصول على العلاج.

في صريفا، روت عائلة علقت عدة ايام لديها اطفال حديثي الولادة، حدوث حالات اسهال وارتفاع الحرارة، واصفرار سحنة الاصغر من الاطفال . نظراً الى تعذر الانتقال الى وسط البلدة حيث تركت ثلاث صيدليات بتصرف الباقين بعد مغادرة اصحابها، لم يسع الوالدة الا ان تفرك الحامض تحت انوفهم لمساعدتهم على التنفس. بعد ثلاثة اسابيع على انتهاء الحرب، ما زالت حالة الاسهال والحرارة لدى ابنها ذي السنة والنصف، تتطلب علاجاً طبياً.

في صريفا ايضا، تخبر سيدة بقية حتى النهاية، في اي ظروف قدمت هي الى سعافات: "اصيب صهري بشظية في رجله. احضر مقاتلو حزب الله الادوية اللازمة، وتكلمت مع طبيب عبر الهاتف، فشرح لي ماذا افعل لمعالجة الجرح".

كذلك في مركبا، تم تقديم ارشادات عبر الهاتف لاجراء إسعافات اولية وللعثور على ادوية في منازل القرية. بالرغم من ذلك، حصل انقطاع في بعض العلاجات . تقول سيدة في الثلاثين من عمرها، التجأت في حظيرة في آخر الحرب: "يعاني والدي من ارتفاع ضغط الدم ومشاكل في القلب . اثناء الحرب، تعذر عليه تناول ادويته. طوال حوالي 20 يوماً". فتاة اخرى في الـ20 من عمرها، تخبر عن وضع اقاربها الذين بقوا في مركبا اثناء النزاع، على الاخص والدها: "(يعاني) من الضغط المرتفع. لم يتمكن من متابعة علاجه اثناء الحرب. بعد الحرب، اصابه المرض، ووجاع في القلب و الدوار. وكان ينبغي ان يخضع لصورة أشعة شاملة قبل الحرب، لكننا لا نملك المال، ولم نستطع (تامينها). اما اخي واختي فيعانيان من داء الصرع. (...) خضعت اختي لتحاليل قبيل الحرب، قبل اسبوع، لكننا لم نستطع المرور بالطبيب لاخت النتيجة . من وقت الى آخر تعاني من نوبات تشنح. قمنا بتحاليل الدم في كفر كلا". ونرى من خلال هذه القصة الفردية ان العائلات التي كانت في الاصل هشة صحياً واجتماعياً، تدهورت حالتها اكثر فأكثر اثناء الحرب.

يؤكد مستشفى مرجعيون الذي ظل عاملا حتى 12 آب/اغسطس، أن خدمة الطوارئ في المستشفى استقبلت يوميا بين 15 و20 مريضا مزمنيا انقطع علاجهم، ما عدا اiban الايلم الاخيرة، حيث تعذر نقل المرضى الى المستشفى. وأشار مستشفى تبنين وبننت جبيل ايضا الى تسجيل حالات عائدة الى انقطاع العلاج

** خدمات الطوارئ: عدم احترام الرسالة الطبية

ارتبكت اجراءات الاسعاف بشكل كبير بسبب وضع الطرقات والقصف المتواصل، ما ادى الى وفيات بسبب غياب العناية الطبية . وكحال المنظمات الانسانية التي تعذر عليها الوصول الى المدنيين لعدم ضمان السلطات الاسرائيلية امنها، اشارت خدمات الاسعاف، المكونة بشكل اساسي من الصليب الاحمر اللبناني، الى عقبات امام قدرتها على تقديم المساعدة.

في اوج الضربات، جهدت سيارات الاسعاف التابعة للصليب الاحمر اللبناني الذي تواصل نشاطه في المنطقة طوال النزاع، لمواصلة بذل واجبها في مساعدة المدنيين، لكنها عجزت عن اسعاف المصابين بجروح خطيرة. في رشاف مثلا، التي قطعت القذائف الطريق اليها بالكامل، وصف شاهد ما حدث : "كان لدينا ثلاثة جرحى، اتصلنا بالصليب الاحمر، لكنهم لم يستطيعوا الوصول. احدهم كان لديه شظايا في عنقه، والاثنين الاخرين مصابان في الرأس . لم نستطع فعل شيء ". في مركبا، ذكرت شابة وضع عائلتها، التي اصبحت بجروح جراء قصف قبوهم: " كانت لديهم شظايا صغيرة من الحجارة والقذائف في جلداهم . نظفوا الدماء وبقوا 15 يوما مع الشظايا في جسمهم".

عندما استطاعت فرق الاسعاف الوصول الى الموقع، غالبا ما حصل ذلك متاخرا وبصعوبة تنقل بالغة، ما استدعى احيانا انتظار نهاية غارة، او الدوران حول حفر ال قتابل على الطرقات. لم تستطع فرق (اسعاف) تبنين تجاوز العوائق كل مرة، ما اجبر المدنيين على نقل، او حتى حمل، الجرحى الى الحفرة التي احدثها الصاروخ في الطريق . في بعض الحالات، توجب الانتظار يومين او ثلاثة قبل التمكن من التدخل . يشير مسؤول فرع تبنين على سبيل المثال يوم 23 تموز/يوليو، عندما تعذر اسعاف 23 شخصا. أحصى الصليب الاحمر مجموع 60 جريحا تعذر الوصول اليهم، اغلبيهم مسنونن اصبوا بجروح طفيفة وبعض المرضى . وكانت قريتا بننت جبيل وعين ابل الاكثر عزلة في محيط تدخل فرع الصليب الاحمر اللبناني في تبنين، وشهدتا معارك برية طاحنة.

وصرح المسؤول ان الوضع تدهور كثيرا منذ 10 آب/اغسطس. مذاك، امسى القصف متواصلا، وفي اليومين الاخيرين، بات التنقل مستحيلا.

كما افاد الصليب الاحمر اللبناني في حدثا عن حالة مدني اصاب بجروح جراء رصاص الجنود الاسرائيليين. تم اجلاؤه في 14 آب/اغسطس، آخر ايام النزاع، يوم تمكن الصليب الاحمر من نقل ما لا يقل عن 15 جريحا.

خوفا من الوضع، فضل بعض المتطوعين وقف نشاطاتهم، احيانا استجابة لطلب اقاربهم، ولحقوا بهم اثناء اجلائهم. عندئذ عملت البعثات بقدرة محدودة، بينما ارتفعت حاجات الاسعاف . بالتالي، عمل مركز مرجعيون بـ18 او 20 موظفا من اصل الـ25 الموجودين عادة. كذلك، بقي 25 موظفا من اصل 40 في (مستشفى) تبنين في الاسبوعين الاولين . بعدئذ، اتى القصف بمحاذاة المكاتب في 25 تموز/يوليو دافعا اضافيا لاعفاء الكثير من المسعفين المتطوعين من مهمتهم وواصل 6 عناصر فحسب العمل.

اضافة الى صعوبات تقديم العلاج بسبب تقييد حرية الحركة، تعرضت سيارات الصليب الاحمر اللبناني للاستهداف بالبنين ان اثناء حوادث عدة.

في 23 تموز/يوليو، كانت سيارتا اسعاف تابعتان للصليب الاحمر اللبناني، الاولى لبعثة صور، والثانية وافدة من تبينين، موجودتين في قانا، لنقل الجرحى قبل اجلائ هم الى مستشفى صور. الجرحى هم امرأة مسنة، ابناها في الـ43 من العمر، وحفيدها في الـ9 من العمر. في الساعة 11.30 ليلا، اطلق صاروخان على سيارتي الاسعاف، اصاب كل منهما الصليب الاحمر المرسوم على ظهر كل من السيارتين. تم تسليط اضاءة الاعلام على هذا العمل الرمزي وادين باجماع شامل. تضم "اطباء العالم" صوتها بالطبع الى هذا الخط لاستنكار هذا الخرق الفاضح للقانون الدولي الانساني.

وقعت الحادثة الثانية في 9 آب/أغسطس، حيث تعرضت سيارة تابعة للصليب الاحمر كانت موكلة يتسليم المعدات والاغذية، للقصف المباشر، فاستهدفت مرتين، قرب نبع الماء في تبينين، على مسافة لا تتجاوز 500 م من مقر الصليب الاحمر. سقطت قذيفة اولى امام السيارة، التي اصطدمت بعمود كهرباء. القذيفة الثانية سقطت على السيارة. واضطرت المنظمة الدولية الانتظار ساعتين للحصول على اذن السلطات الاسرائيلية قبل التمكن من اسعاف راكبي السيارة الاثنتين المجروحين. تعتبر عمليات القصف هذه تعديا على الرسالة الطبية الانسانية التي تجريها المنظمة، وعلى اجراء الإسعافات الفعالة.

اثناء الهجوم على قافلة اجلاء مرجعيون، قتل متطوع في الصليب الاحمر اللبناني

كما استهدفت المنظمة بطاقات قريبة قد تعتبر احيانا محاولات تخويف. اما مباني بعثة تبينين فقد تضررت بصورة خاصة جراء قصف محيطها، على غرار المستشفى المجاور. عثر على قنابل عنقودية على السطح.



في بنت جبيل، سقطت قذيفة في باحة مرتوصف الصليب الاحمر اللبناني، ما اصاب سيارة نقل المنظمة باضرار جسيمة.

للتشديد على صعوبات التدخل، روى مسؤول البعثة ما يلي : "في 23 تموز/يوليو، كنت انقل ثمانية جرحى من بنت جبيل وبيت ياحون. في الساعة 1.30 ظهرا، في كفرأ، كنت اهم بتجاوز سيارة اخرى على مسافة 50 مترا مني، عندما تم قصفها، واصطدم سائقها بالاسعاف . ثم سقطت السيارة الى الجبل واشتعلت . لم استطع فعل شيء . تعرضت الاسعاف للشظايا. لم استطع رؤية عدد الاشخاص في السيارة لان كل شيء كان يحترق. اكملت طريقي مع الجرحى . اجتزت (بلدة) صديقين ثم صادفت شابا في الخامس عشرة من عمره، مقتولا على دراجة نارية. اصابته القذيفة في رأسه".

بالاضافة الى الصليب الاحمر اللبناني الذي امن الإسعافات الاساسية في جنوب لبنان اثناء النزاع، عملت إسعافات خاصة او عامة بشكل متقطع.

في انعكاس للتغطية الطبية الجيدة في المنطقة في وقت السلم، تملك منظمات ومؤسسات متنوعة وسائل اسعافها الخاصة. غير انها لم تتمكن من تشغيلها بالفعالية نفسها في كافة الامكنة.

في صريفا، اشار مساعد لرئيس البلدية الى وجود سيارات اسعاف تابعة لحركة أمل . وأضاف ان سيارتين منهما قصفتا، الاولى قرب صور في محيط 7 آب/أغسطس، والثانية اثناء نقل المسعفين لجرحى . عندما قصف حي بكامله في 19 تموز/يوليو، تعذر على خدمات الاسعاف التدخل . روى شاهد ان المروحيات الاسرائيلية بدأت تحلق فوق المنطقة مباشرة بعد (القصف) وان السكان خافوا، لظنهم ان ذلك لقتل الناجين او اسرهم.

اما مستشفى بنت جبيل، الذي تديره الهيئة الصحية الاسلامية، المقربة من حزب الله، فلم يستطع استخدام سيارتي الاسعاف التابعتين له، حيث اشار المدير انهما قصفتا في الاسبوع الاول على النزاع . بالتالي، عمد المدنيون، والدفاع المدني اللبناني، الى نقل المرضى الى المستشفى.

وصلت معلومات كثيرة حول استهداف اشخاص يحاولون اسعاف ضحايا عالقين تحت الركام، او سحب الجثث من تحتها. ويروي مدير مستشفى بنت جبيل حالة مبنى تعرض للقصف في بنت جبيل، حيث توقفت محاولات الاسعاف، اثر صاروخ ثان اوقع اربعة قتلى وعشرة جرحى.

في كفرشوبا، اعلنت البلدية انها كانت تملك نظام اسعاف، عمل حتى مغادرة كافة السكان، اي في الايام الخمسة عشر الاولى على النزاع. فالطرق لم تكن مستهدفة ومقطوعة، ما سمح لسيارات الاسعاف باجلاء اربعة جرحى الى مستشفيات مرجعيون وصيدا.

اما الصليب الاحمر الدولي، فافاد عن اعانة بعض الاشخاص، تم تحديدهم بانهم ضعفاء للغاية، وبحاجة الى مساعدة انسانية فورية. الا ان امكانات المنظمة لاجراجهم كانت محدودة جدا بسبب غياب اي ضمانات امنية.

*** الوفيات جراء استحالة تقديم العلاج

في مختلف انحاء جنوب لبنان، توفي اشخاص لغياب العلاج. هؤلاء بشكل اساسي، ممن جرحوا جراء القصف، ولكن ليس لذلك وحده. فسبق وذكرت حالة شخص تعرض لسوء التغذية من بنت جبيل. في كفرشوبا، افدنا بان شابا يعاني من داء الصرع توفي في احدى نوباته لغياب العناية (الطبية).

كما نذكر الكهل المصاب بالربو في الخيام، الذي توفي بعد ان نازع ساعات عدة تحت ع امود اسمنت سقط عليه.

في تبنين، افاد مدير المستشفى عن حالة شخص توفي متأثرا بجروحه على بعد 200 الى 300 مترا من المستشفى اثر قصف منزله في 12 آب/اغسطس، وتعدر انقاذه لاستحالة الوصول اليه لنقله من قبل. في عيترون، اكد مساعد لرئيس البلدية مقتل اربعة اشخاص لتعدر وصول المسعفين اليهم. كانوا ثلاثة رجال في السبعينات، توفوا متأثرين بجروحهم في منزلهم، حيث بقيت جثثهم حوالي 20 يوما، اضافة الى امرأة موعوقة اصببت بجروح ونزفت حتى الموت.

وافاد الافراد الذين حادتهم "اطباء العالم" عن صعوبات وصول المسعفين الى الضحايا المدنيين اثناء النزاع في اغلبية القرى المعنية، كما سبق ورأينا، للأسباب المتعلقة بنقص الامان وظروف التنقل السيئة.

(2) نشاط المستشفيات

* مرجعيون

عانى مستشفى مرجعيون من مشاكل اساسية تمحورت حول الوقود، الماء، الادوية، والفريق العامل. في موضوع الكهرباء والماء، يملك المستشفى مولدا، وخزان ماء بسعة تكفي ليوم او اثنين. وتم التزود بالماء من البلدية والدفاع المدني اللبناني.

غادرت اغلبية الموظفين قبل عشرة ايام على نهاية النزاع، ولم يبق الا 8 ممرضين، 8 اطباء، طبيب تخدير، وخبير اشعة.

وبرز نقص كبير بشكل خاص في المضادات الحيوية والعقاقير المخدرة بين كافة الادوية الباقية. ولكن وردت هبات ادوية من "اطباء العالم"، الصليب الاحمر الدولي، وزارة الصحّة، "وورلد فيجن"، وجمعية نور.

وذكر المدير والمسؤول عن قسم الطوارئ في المستشفى عن وصول 310 مرضى (مرضى مزمنين، وجرحى) الى قسم الطوارئ اثناء النزاع، بينهم 120 الى 130 جريحا (95 مدنيا، بينهم 40 الى 50% من الاطفال)، وافدين من حوالي 30 قرية. ونجمت الاصابات بشكل اساسي عن شظايا القذائف، اضافة الى المشاكل التنفسية (الناجمة احيانا عن قذائف الغاز). وارتفع اجمالي فترة المكوث في المستشفى الى اسبوع.

بالاضافة، نقلت 16 جثة الى المستشفى، الذي لم يسجل اي وفاة في المؤسسة في تلك الفترة.

** تبنين

يخضع المستشفى لإدارة الجيش اللبناني، ويعتبره السكان ملاذاً وملجأً . بالتالي احتوى الكثير من المدنيين الفارين من قراهم في المستشفى اثناء النزاع . ووضح مدير المستشفى ان 8000 نازح وفدوا، وان المستشفى أوى على الدوام ما لا يقل عن 1800 شخص. وتطلب هؤلاء الأشخاص بالطبع عناية انسانية، غذائية على الاخص، حيث ناموا في الاروقة رأساً لقدمين. اتوا بشكل اساسي من قرى بنت جبيل بسبب القصف المكثف، احيانا سيرا على الاقدام، وانهاروا عند وصولهم . شكل الاطفال حوالي 20% من هؤلاء الوافدين. بقي البعض 3 الى 4 ايام، بينما مكث الباقون طوال فترة النزاع.

اما بخصوص خدمات الإسعافات، فعمل المستشفى بالتعاون مع الصليب الاحمر اللبناني. في بعض الحالات رافق جنود لبنانيون سيارات اسعاف الصليب الاحمر. ونظرا لانقطاع خطوط الهاتف، كانت المعلومات التي تخص حالات الطوارئ تصل احيانا عبر الصحافيين. ولم تكن الفرق الطبية تنقل من اجل القتلى، وتوجب عليها ان تتأكد مسبقا مع كل خروج ان الاشخاص جرحى. في الاسبوعين الاخيرين، كان الخروج مستحيلا، ولم يتنقل في المنطقة الا الصليب الاحمر.

كانت مشكلة المستشفى الاساسية متعلقة بالموارد البشرية، حيث عمل كافة الموظفين المتوافرين في حالات الطوارئ. ولم يكن موجودا الا ثمانية جنود اختصاصيين بينهم ممرضان. اما باقي الموظفين فكانوا مدنيين وغادروا المدينة. بالرغم من ذلك تلقى المستشفى دعما من متطوعين مدنيين، كذلك الطبيب من صور.

تمت معالجة مشاكل المياه بفضل احد سكان تبينين الذي يملك صهريج ماء وجال على الخزانات المنفردة التي يبلغ عددها 300 - 400 في البلدة، لتزويد المستشفى . ولكن كان من التعقيد بمكان تزويد 1800 شخص بالغذاء.

أجرى المستشفى 1100 معاينة اثناء الحرب. وصل بعض المرضى اثر انقطاع علاجهم المزمن، ولكن لم تحصل اي حالة وفاة، حيث تماكنت الجمعيات من تأمين الادوية بالرغم من الصعوبات. اجريت عشر ولادات، وفي احداها اضطرت السيدة ان تلد من دون مساعدة طبيب . واحتاجت اكثر السيدات الى عملي قيصرية وتم نقلهن الى صور، لغياب غرفة العمليات في المستشفى.

عالج المستشفى اكثر من 370 جريحا، بينهم 20% من النساء، و20% من الاطفال دون السادسة عشر . 30 الى 40% من الجرحى كانوا من المقاتلين، بينما تهبط النسبة الى 20-25% من 53 حالة وفاة سجلت في المنطقة في هذه الفترة . وتلقى حوالي 30% من الحالات (الجروح الطفيفة) العلاج في مكانهم . واشير الى حالات جرحى اصيبوا اثناء معارك على الارض، على الاخص في ايام الحرب الاخيرة.

في الايام الاخيرة، تعرض محيط المستشفى المباشر للقصف العنيف، ما ادى الى ان دلاع حريق الحق الاضرار بالمبنى . وحصل الجيش اللبناني على اذن من السلطات الاسرائيلية لمدة ربع ساعة من اجل التصدي للحادثة.

*** بنت جبيل

ان مستشفى بنت جبيل هو البناء الصحي الاكثر معاناة اثناء النزاع . فقد استهدفه القصف مرات عدة، على الاقل ثلاث الى اربع مرات مباشرة، حسب مدير المستشفى، وايضا بشكل غير مباشر. من جهة، من الممكن ان يكون تأذى بسبب موقعه، في بلدة متعارف عليها كمعقل لحزب الله، ومن جهة اخرى، بسبب ادارة الهيئة الصحية الاسلامية، المرتبطة بحزب الله. وأشارت ادارة المستشفى الى ان قصف محيط المستشفى لم يتوقف طوال الحرب.

تم الحد بشكل كبير من قدرة المستشفى التشغيلية، مع اع تبار انه واصل نشاطه حتى في أوج النزاع، وذلك بسبب الاضرار الناجمة عن الغارات الموجهة. واصيبت غرفة العمليات على الاخص (أجهزة الانارة والتهوية) جراء ضربة اصابت السطح في 24 تموز/يوليو، ما حال دون اجراء اي عملية جراحية بعد ذلك التاريخ.

وحرم المستشفى من الكهرباء مرتين ما اتلف الادوية التي تتطلب التبريد لحفظها . كما انقطعت المياه في المستشفى طوال فترة النزاع.

نظرا الى قصف سيارات الاسعاف منذ الاسبوع الاول، تعذر على فريق العمل في المستشفى الخروج في اي وقت كان.

ظل الفريق الطبي كاملا في الايام الثمانية عشر الاولى على النزاع، لكنه تقلص بشكل كبير مذاك . بقي خمسة اشخاص فحسب، وهم جراح، وممرضان اثنان، والمدير، وعامل صيانة.

بالرغم من نقص الموظفين الفادح، استقبل المستشفى بين 250 و350 جريحا اثناء النزاع. واجريت خمس ولادات، بفضل قابلة قانونية، وممرضة، ولكن من دون مساعدة طبيب نسائي.

بدون وسيلة نقل، اجلى العاملون في المستشفى بما فيهم المدير، ثلاث مجموعات من الجرحى، مشيا على الاقدام، وبالاستعانة بكراسي نقالة : ثلاثة جرحى في 18 تموز/يوليو، 13 مريضا بينهم 5 اطفال بين الخامسة والعاشرة من العمر في 24 تموز/يوليو، و9 مرضى في 4 آب/اغسطس. ويروي المدير انهم اضطروا الى حمل المقعدين لتجاوز حفر الصواريخ في الطريق. استغرقت الطريق ثلاث ساعات ونصف، عوضا عن ساعة في الاحوال الطبيعية . في حالات أخرى، عمل مدنيون او الدفاع المدني على اجلاء الجرحى الى تبنين او صور.

واعلن المدير عن حالتي وفاة او ثلاث في المستشفى اثناء النزاع. كما روى عن حالة جريح قتل اثناء قصف سيارة الاسعاف التابعة للهيئة الصحية الاسلامية التي كانت تنقله الى صور بين 20 و25 تموز/يوليو، في منطقة وادي جيلو.

3 الحصول على الماء والغذاء

اثر صعوبات التزود بالماء والغذاء تقريبا على كافة المدينين الباقين في قراهم اثناء النزاع. نظرا لقصف الطرقات، وتحول اي حركة الى هدف محتمل للغارات، تم الحد بشكل جذري من امكانيات التزود بالمؤن . وفي مؤشر يكشف قسوة ظروف الحياة، اشارت قوات اليونيفيل الى نقص المؤن في بعض مراكزها، جراء صعوبة التنقل ووضع الطرقات. ووضحت ان 25 عنصرا من القبعات الزرق اضطروا في احد الايام الى الاكتفاء برأس بطاطا واربع بصلات، وان الجنود في مركز آخر، اكتفوا بـ 1,5 لترات من الماء لكل جندي يوميا.

في الفترة الاولى، اعتمد السكان على مخزونات خاصة، احيانا كبيرة، وكانوا يستغلون الفترة التي يخف فيها القصف للتوجه الى المتاجر او المنازل القريبة . واحتفظ البعض بمخزون خاص منذ البداية، في حال طال النزاع. كما تمكن مالكو الحيوانات من استخراج الغذاء منها. اوضحت سيدة من صريفا "لدي 100 دجاجة، لذا نستطيع الحصول على 50 بيضة في اليوم". واستغل آخرون حديقتهم، كما اشارت امرأة من الخيام "خرجنا قليلا الى الحديقة، لقطف بضع حبات من الطماطم والخيار، وجلب الماء من عند الجيران، الخ، عندما ينقطع القصف".

واشار بعض الذين سئلوا الى مساعدة ناشطي حزب الله . لكن ظروف هذه المساعدة اختلفت بين القرية والآخرى. ففي الخيام، على سبيل المثال، بينما اكد افراد مجتمعين تلقيهم زيارة المقاتلين ومساعدتهم، بقي زوج مسن وابنه الموقوف معزولين في الجهة الاخرى من البلدة ولم يروا احدا حتى نهاية تموز/يوليو. بعد ان مقتل الزوج اثر قصف حيهم، وصفت المرأة وضعها اثناء تلك الفترة : "... لدينا بعض الطماطم في الحديقة، والزيتون في المنزل، وكنا جففنا بعض الخبز كي نحفظ كمية كبيرة منه . ولكن في الايام الستة التالية لمقتل زوجي، لم يعد لدينا شيء. كل ما تناوله ابني هو فنجان من الشاي في اليوم. في جميع الاحوال، كيف لي ان اكل، بعد رؤية ابني يرفع الغطاء الذي غطيت به جثة زوجي ويقول لوالده ان ينهض؟ اما المياه، فكنا وضعنا خزاننا في الخارج، لكنه اتلف جراء القصف . استخدمنا في صنع الشاي 24 لترا كانت لدينا لآلة الاكسيجين من اجل زوجي. لم يحضر لنا احد شيء، لا قبل وفاة زوجي ولا بعدها".

بشكل عام لم يشكل التزود بالغذاء ازمة فعلية الا مع نهاية النزاع، عند تكاثف القصف الى درجة بات معها التحرك مستحيلا، حتى ولو للتزود بالمؤن من المنازل المجاورة. كذلك يروي الشهود انهم توقفوا عن تلقي اي مساعدة من حزب الله، حيث تم الحد من حركة عناصره ايضا.

بالتالي، شهدت تلك المجموعة في الخيام ظروف معيشتها تنهز بشكل كبير. "في الايام الخمسة الاخيرة، لم يبق الا بعض كسرات الخبز". في رشاف، اوضحت عائلة فيها اطفال صغار صعوبات الايام الاخيرة . "في البداية كانت ظروف المعيشة طبيعية. كنا نخرج الى القرية للتزود بما نأكله. لكن في الاسبوع الاخير، لم نستطع التحرك. في البداية كان القصف يسقط على المحيط، ولكن كنا نتدبر امرنا. في الاسبوع الاخير، تكثف (القصف) كثيرا وامسى الاسرائيليون في قريتنا (...). كنا بمحاذاة بئر، وكنا نستطيع التزود بالماء، لكن في الايام الثلاثة الاخيرة لم يعد لدينا ما نأكله . قلت لزوجتي "نحن، لسنا مهمين، لكن اذا بقي الاولاد عدة ايام بلا طعام، سيموتون". لكانت زوجتي تسخن المياه، وتضيف السكر لاننا انقطعنا من الشاي، وكنا نعطيهم قطعة بسكويت في اليوم مع المياه الساخنة، لاننا كنا نعتقد ان الامور ستطول (...). اما الماء، فكان لدى احد المحال ستة غالونات من الماء . اخذتها. كان الشباب المقاتلون يريدونها، لكنني قلت لهم كلا، نحن

لا نهم، لكنني أخذها للاولاد . المقاتلون لم يساعدونا في شيء . على العكس، عندما كنا نصنع الخبز او الطعام، كنا نقدم بعضه لهم".

توقفت شبكات المياه العامة عن تزويد السكان منذ بدء النزاع . وحيثما كانت الخزانات البلدية فوق الارض، غالبا ما تضررت من القصف . من الصعب الجزم ما اذا كان هذا الدمار مقصودا، حتى لو في بعض الحالات، يبدو موقع الخزانات بعيدا عن القرية وبارزا، ما يستدعي الاعتقاد بلبن قصفه متعمد . في الحالات النادرة التي جنبت فيها الخزانات الضرر، او عندما كانت تحت الارض، تعرضت الامدادات الى الضرر، لموقعها تحت الطرقات المستهدفة. بالاضافة، مع انقطاع شبكة الكهرباء، تعذر تشغيل المضخات.

في بعض الحالات القسوى، نقصت المياه لدى قرويين معزولين . في فرون، اكد رجل محاصر في المنزل الذي كان يختبئ فيه بعد ان احتله جنود اسرائيل يون: "لم يعد لدينا خبز، وماء، وما من دكان مفتوح في القرية ولم يستطع احد الدخول ليجلب اي شيء معه. عانينا من مشكلة مياه. في الايام الثلاثة الاخيرة، لم يعد لدينا الا كوبا من الماء وكل ما فعلنا هو ترطيب شفاهنا".

وافيد عن صعوبات للوصول الى الماء والغذاء في كافة القرى تقريبا التي شملها التقرير.

بالرغم من تلك الظروف المعيشية المؤسفة، لم يصل سوء التغذية والجفاف الى حدود قاسية الا في حالات قليلة، لان القيود المفروضة على التزود بالماء والغذاء لم تصل الى مراحل حادة قبل الايام القليلة الاخيرة من النزاع.

أكد الصليب الاحمر الدولي اجلاء شخص مصاب بالجفاف، كما افاد مستشفى تبنين عن حالة رضيع مصاب بالجفاف تمت معالجته، بينما أسف مستشفى بنت جبيل لحالة رجل يعاني من سوء التغذية، توفي بعد عدة ايام على نقله الى بيروت. وذكر مسؤول الصليب الاحمر في تبنين 11 حالة من الجفاف تم الاعتناء بها في منطقة تدخل عناصره، اغلبها بين مسنين من عيناتا، بنت جبيل، عيترون، بليدا، شقرا وبيت ياحون. بعد نقلهم الى مستشفى صور، توفي ثلاثة منهم على الاقل. اثناء هدنة الـ 48 ساعة، عثر في كونين على بعد 5 كلم من تبنين، على رجل، ممدد على الارض منهك القوى . توفي في مستشفى تبنين بعد عشر دقائق على نقله اليه.

IV ظروف حياة السكان الحالية والاحتمالات المستقبلية

بعد اسبوعين على نهاية النزاع المسلح، بدأ لبنان، لا سيما جنوبه، مدمرا جراء شهر من الهجمات المكثفة. ويبرز التنظيف لمشكلة اساسية نظرا الى الاضرار الفادحة التي لحقت بشبكة الامدادات المائية، هذا ناهيك عن وجود كميات هائلة من القنابل العنقودية التي تشكل تهديدا اضافيا.

أ. النتائج الصحية

سيتم وضع تقرير مع نهاية بعثة الطوارئ بعد ثلاثة اشهر من العمل (منتصف يوليو/تموز الى منتصف تشرين الاول/اكتوبر).

تشير اشكالية الكميات الهائلة من الذخائر والقذائف غير المنفجرة، مخاوف كبيرة. حسب الارقام الاخيرة التي نشرها مركز الامم المتحدة لتنسيق نزع الالغام في جنوب لبنان (اونماك)، سقطت 128 ضحية منذ وقف اطلاق النار جراء القنابل العنقودية والقذائف غير المنفجرة والالغام، منهم 97% بسبب القنابل العنقودية. حوالي 90% من هؤلاء، هم من المدنيين، يشكل الاطفال أكثر من ثلثهم. الى اليوم، تم تحديد 746 موقعا للضربات بالاسلحة ذات القنابل العنقودية، ويتم اكتشاف مواقع جديدة يوميا. وقدر "اونماك" في تقريره بتاريخ 14 ايلول/سبتمبر 2006، وجود مليون قنبلة عنقودية غير منفجرة في جنوب لبنان (بين الخط الازرق ونهر الليطاني). هذا الرقم لا يشمل الا الاسلحة بالقنابل العنقودية التي اطلقتها المدفعية والصواريخ الاسرائيلية، ويستتني الصواريخ المحملة بقنابل عنقودية التي رمتها الطائرات.

بالاضافة الى العواقب المباشرة على صحة السكان، حفر النزاع ندوبا دائمة على المستوى الاقتصادي.

ب. النتائج الاقتصادية في جنوب لبنان

ادت القيود التي فرضها القصف الى آثار دائمة على كافة نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة. بات من المستحيل جمع المحاصيل، والاهتمام بالماشية، ومواصلة النشاط التجاري. اقطعت الحياة الزراعية بعنف، على الاخص زراعة التبغ التي كانت في أوج موسمها. بالتالي، اتلف المحصول كله تقريبا لموسم 2006، مع العلم ان التبغ مورد مالي مهم في المنطقة تعتمد عليه عائلات كثيرة. اشارت التقديرات التي اجرتها البلديات بعد النزاع، اعلنت بلدنا رب ثلاثين وصريفا عن خسارة 100% من محصول التبغ.

احترقت حقول واشجار كثيرة (زيتون، تين...) جراء الغارات، كما ارتفعت الخسارات في الماشية. فالحيوانات لم تعان فحسب من شح الماء والغذاء، بل نفقت ايضا جراء القصف. ووضح عدة اشخاص ممن حاورناهم ان انظمة الروقي بالاشعة دون الحمراء قد تكون خالت الحيوانات مقاتلين ليلا.

بالنسبة الى المزارعين، يشكل انتشار الكمية الهائلة من القنابل العنقودية في الحقول خطرا على اي استئناف لنشاطاتهم. كما خسر مربو المواشي الكثير ولن يتمكنوا من كسب عائدات من ماشيتهم قبل اعادة اقتناء القطعان. تقول امرأة متسائمة من رشاف: "نفق نصف قطيعنا. بقيت الماعز اسبوعا بلا علف وبعضها نفق

بالرصاص، الاسرائيليون اطلقوا عليها النار . منذ وقف اطلاق النار، نفق جزء من الماعز الذي بقي، ربما لانها بقيت فترة طويلة بلا ماء . بالاجمال، فقدنا حوالي 200 رأس". أضاف رئيس البلدية ان الماعز الذي بقي لم يعد يدر الحليب. في مركبا، تروي عائلة قصتها المؤسفة: "مصدر رزقي التبغ والخراف، التي قتلت كلها. كنت املك 250 راسا، وقصفت الحظيرة التي كانت فيها . (...) خسرت خرافي، نحن 7 افراد في العائلة، وتلقيت \$ 10000".

ليست المبالغ التي وزعها حزب الله الا تعويضا طارئا عن الانتقال الى منزل آخر، ولا تشكل باي طريقة تعويضا عن الخسائر الفعلية او دفعة مسبقة لاعادة الاعمار.
من المتوقع ان تستغرق استعادة جنوب لبنان ديناميكيته الزراعية والاقتصادية بعض الوقت.

تم تدمير عدد كبير من المتاجر، وفي بعض القرى التي اعتمدت عليها اقتصاديا، برزت عواقب وخيمة. في بنت جبيل، على سبيل المثال، تم تدمير قرابة 300 متجر. في فرون، دمر 30 من اصل 50 متجرا في القرية. ويرى احد سكان رشاف المستقبل مريعا: "تعذر علي استئناف مهنتي لان الشاحنة قصفت. ولم تكن ملكي. (...) ظروف معيشتنا اكثر من بائسة. خسرنا منزلنا وكل ما نملك. كل شيء احترق، لا نستطيع حتى ان نسحب ثيابا من الانقاض. اننا ننتظر التعويضات. ولكنها كلام في كلام، لا اعلم اذا سيحدث الامر . عام 2000، تعلم الناس درسا. يقولون لنا هذا الاسبوع. لو لم يفتح ابن عمي منزله لنا، لكنا الآن في الشارع".

على الهدى الطويل، تم اكتساح اقتصاد باكملة، في منطقة هي اصلا محرومة وهشة.

V الخاتمة

ترفض "اطباء العالم" بقوة التعدييات الفادحة على القانون الدولي الانساني التي نفذها الجيش الاسرائيلي في لبنان بين 12 تموز/يوليو و 14 آب/اغسطس 2006، وعلى الاخص في جنوب الب لاد. هذه الانتهاكات تخالف بشكل خاص احكام اتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة باحترام المهمة الطبية وواجب حماية المدنيين في اطار نزاع مسلح.

تستند حماية المدنيين من نتائج العمليات العسكرية الى مبدأ التمييز . وتنص اتفاقية جنيف الرابعة والبروتوكول الاضافي الاول، ناه يك عن قانون العرف والعادة، على منع اي هجوم م باشر على افراد مدنيين وضد مجموع السكان المدنيين¹⁴. بالتالي، ان الهجمات بدون تمييز ممنوعة بشكل صريح.

غير ان دولة اسراييل اخلت اثناء تنفيذ اهدافها العسكرية وهي القضاء على منظمة متحركة، بواجب التمييز بين المقاتلين والافراد المدنيين. وحاولت التنصل من هذا الواجب عبر دعوة المدنيين الى مغادرة المنطقة، وهو، من جهة، فعل تدعو طبيعته الى ربطه بالتهجير المتعمد، ومن جهة اخرى، لن يؤدي الى اعفائها من واجب التمييز، حيث انه من الوهم اعتبار اي مدني لم يغادر مقاتلا. بالاضافة، ان السلطات الاسرائيلي بعيدة كل البعد عن تسهيل اجلاء المدنيين في ظروف امنية مناسبة.

لا يعكس عدد الضحايا المدنيين بالضرورة عنف الهجمات المسلحة الاسرائيلية المنتظمة، التي يمكن اعتبارها عقابا جماعيا انزل باللبنانيين لقمع دعم شعبي لحزب الله او للسماح بوجود ناشطين مسلحين للحزب في جنوب البلاد. انه انتهاك للمبدأ الذي ينص على منع اي هجوم موجه انتقاما من المدنيين منعاً باتاً.

في ما يختص بالبنى التحتية اللبنانية الكثيرة المدمرة، يفرض القانون الدولي الانساني قرينة تنص على ان المنازل السكنية، والمدارس وغيرها من البنى ذات الاستخدام المدني، ليست مستخدمة للمساهمة في العمل العسكري وبالتالي ينبغي اعتبارها اهدافا مدنية . على سبيل الاستثناء، عند استخدام احدى تلك البنى لاغراض عسكرية، ينبغي على اطراف النزاع التحديد الصريح باي طريقة استخدمت، واذا كان لتدميرها فائدة عسكرية محددة¹⁵. في هذه الحالة، وبالرغم من تصريحات السلطات الاسرائيلية التي تذكر استخدام البنى التحتية المدنية لاطلاق الصواريخ، يبدو من الصعب، نظرا الى فداحة الدمار، التحقق في كل مبنى، من الطابع العسكري للاهداف.

لكن اطلاق حزب الله النار من مناطق مأهولة بالسكان، لم يسع الى التمييز بين المدنيين والمقاتلين حسب ما ينص قانون الحرب.

تدعو "اطباء العالم" اي طرف في نزاع الى احترام معايير القانون الدولي الانساني، لمصلحة المدنيين.

أما الاضرار اللاحقة بالمنشآت المدنية وغيرها من موارد المنطقة، فيجدر هنا التذكير بب عض الاحكام الاضافية في البروتوكول الاضافي الاول، بالرغم من ان اسراييل لم تصادق عليه . بشكل خاص يمنع البند

¹⁴ البند 51، القسم الثاني من البروتوكول الاضافي الاول
¹⁵ البند 52 من البروتوكول الاضافي الاول.

54، الجزء الثاني، من الهجوم على، أو تدمير ، أو ازالة، أو تعطيل، أملاك ضرورية لبقاء المدنيين ، كالمواد الغذائية، والمناطق الزراعية التي تنتجها، المزروعات والمواشي، اضافة الى منشآت وخزانات مياه الشفة. على ضوء هذا البند، يبدو ان النزاع الاسرائيلي-اللبناني، بدون اي جدال، خرق القانون الدولي الانساني، ناهيك عن حجم الاضرار.

تنص اتفاقية جنيف الرابعة كذلك على ان القوة المحتلة ملزمة بتزويد السكان بالمواد الغذائية والادوية . واذ نقص التموين لدى سكان منطقة محتلة او جزء منهم، ينبغي على القوة المحتلة الموافقة على عمليات اغاثة هؤلاء السكان، والامر سيان عندما لا يحصل مدنيو منطقة غير محتلة على العناية اللازمة¹⁶. دعت منظمات انسانية كثيرة، منها "اطباء العالم"، المجتمع الدولي واسرائيل الى احترام التزاماتها الدولية. تستنكر "اطباء العالم" مرة اخرى، عدم امكان الوصول الى السكان، وع دم امكان وصول السكان الى العلاج والحاجات الحيوية اثناء النزاع.

تثبت العناصر المجموعة في هذا الاطار في جنوب لبنان، انه ، على العكس، استهدفت الهجمات، بشكل متكرر ومنتظم، امكانات البقاء لدى المدنيين اللبنانيين وحقهم غير القابل للتصرف بان تبذل كل الجهود لحمايتهم باكثر فعالية ممكنة في اطار النزاع.

صورة الغلاف © اليزابيت رول
الصور الاخرى: ماري-كلير الان

¹⁶ البند 59 من اتفاقية جنيف الرابعة والبندان 69 و70 من الاتفاقية الاضافية الاولى.

الملاحق - جداول احصائية بالبيانات المجموعة

البلدة	عدد السكان المسجلين	المقيمون الدائمون	عدد السكان الموجودين مع بدء النزاع	عدد المدنيين الباقين طوال الحرب	القتلى المدنيين اثناء النزاع	الجرحي المدنيين اثناء النزاع	عدد السكان العائدين
الخيام	35000	7000 الى 8000	15000 الى 20000	100 تقريبا	3	حوالي 10	7000 الى 8000
مرجعيون	30000	3000 تقريبا	غير متوافر	17	0	1	حوالي 50%
رشاف	1200	500	غير متوافر	23	1	9	100 الى 150
مركبا	11000	3000-2500	3000-2500	120	1	7	1500
رب ثلاثين	4500	1000 تقريبا	1100 تقريبا	0	4	0	600
بنت جبيل	54000	7000	15000	60	13	غير متوافر	2500 (العض في الخيم)
صرعفا	12000	9000	11500 تقريبا	2	34	2 الى 3	حوالي 50%
كفر شوبا	8500	1600	3000 تقريبا	0	4	10	غير متوافر
فرون	3000	2600	2600	5	5	10	240 عائلة
عينرون	16000 الى 17000	6000	10000	60	33	27	4000
راشيا الفخار	3800	400 الى 500	غير متوافر	0	0	6	100%

البلدة	عدد المنازل قبل النزاع	المنازل المدمرة/غير الصالحة للسكن	المنازل المتضررة	تلقي تعويضات من حزب الله
الخيام	4000	750	2500	نعم
مرجعيون	حوالي 1200	0	300	كلا
رشاف	700	65	370	كلا
مركبا	750	50% من 90% مصابة، اي 337	50% من 90% مصابة، اي 337	نعم
رب ثلاثين	300	70/50	180	نعم
بنت جبيل	2200	800 (9 احياء مدمرة بالكامل)	800	نعم
صريفا	900	350/250	200	جزئيا (ما عدا انصار حركة أمل)
كفرشوبا	840	150/80	450	نعم
فرون	300	140/75	غير متوافر	نعم
عيترون	1500	حوالي 400	الاكثرية	جزئيا (البطء بسبب فداحة الدمار)
راشيا الفخار	233	0	29	غير متوافر

البلدة	الخسائر الزراعية	الخسائر في الماشية	المتاجر المدمرة	السيارات المدمرة	الاملاك العامة المتضررة
الخيام	غير متوافر	كبيبة الاحصاء النهائي غير متوافر	غير متوافر	غير متوافر	شبكة الكهرباء شبكة المياه الطرق كافة المدارس الجوامع
مرجعيون	تعليق العمل	50 رأس ماعز	غير متوافر	50	شبكة الكهرباء امدادات المياه الطرق 130 مستوعبا للنفايات
رشاف	70 دنما من التبغ 126 دنما من القمح 1044 شجرة زيتون 41 شجرة تين	580 رأس ماعز 11 بقرة 220 دجاجة 54 قفير نحل 4 عجول حصان واحد	المتاجر قليلة في البلدة	غير متوافر	شبكة الكهرباء خزان مياه البلدية الامدادات الطرق جامعان البلدية
مركبا	الاحصاء النهائي غير متوافر	الاحصاء النهائي غير متوافر	الاحصاء النهائي غير متوافر	كلها	4 خزانات لمياه البلدية مدرسة جامعان مستوصفان البلدية

شبكة الكهرباء خزان مياه البلدية مدرسة جامع (من اثنين) مستوصف	غير متوافر	غير متوافر	50 بقرة 250 رأس ماعز 900 دجاجة	100% من التبغ محاصيل القمح، والعدس احتراق الكثير من اشجار الزيتون	رب ثلاثين
الطرق البلدية غيرها - غير موافر	اكثر من 5000	300	غير متوافر	الزراعة قليلة في البلدة	بنت جبيل
شبكة الكهرباء شبكة المياه الطرق مدرستان جامعان (من ثلاثة)	20	غير متوافر	60%	100% من محصول التبغ 30% من اشجار الزيتون	صريفا
شبكة الكهرباء البلدية وسيارات الخدمة مدرسة جامع مستوصف	غير متوافر	غير متوافر	غير متوافر	غير متوافر	كفر شوبا
محطة وقود حسينية (من ثلاث) خزان المياه البلدية	100 سيارة 50 غيرها	30 (من 50)	4000 رأس ماعز/خراف 2000 بقرة 10000 دجاجة/حمامة	10000 شجرة 500000 متر مربع من الحقول	فرون

شبكة الكهرباء خزانان للمياه بلدية طرق مدرسة (من 2) جامع (الثاني طور البناء) حسينية	غير متوافر	الاحصاء لم يبدأ	3000 حيوان	الاحصاء لم يبدأ	عيترون
شبكة الكهرباء شبكة المياه طرق كنيسة ارثوذكسية	غير متوافر	غير متوافر	غير متوافر	غير متوافر	راشيا الفخار

البلدة	الحصول على المياه الجارية أثناء النزاع	الشح الغذائي أثناء النزاع	العديد الطبي أثناء النزاع	انقطاع العلاجات المزمنة	عقبات في الوصول الى الاغاثة
الخيام	كلا (حالة 1 من الجفاف اجلاها الصليب الاحمر الدولي)	نعم	طبيب 1 من حزب الله ممرضتان 2	نعم (غسيل الكلى)	نعم
مرجعيون	كلا	غير متوافر	مستشفى (مغلق في آخر 48 ساعة) الصليب الاحمر اللبناني (ما عدا آخر 48 ساعة)	كلا	كلا
رشاف	كلا	نعم	كلا	نعم	نعم
مركبا	كلا (حالة 1 من الجفاف لدى رضيع)	نعم	كلا	نعم	نعم
رب ثلاثين	كلا	غير متوافر	كلا	غير متوافر	غير متوافر
بنت جبيل	كلا	نعم (حالة 1 من سوء التغذية، توفي)	مستشفى (تعرض للقصف)	نعم	نعم
صريفا	كلا	كلا	كلا ثلاث صيدليات	كلا	نعم
كفر شوبا	كلا	كلا	كلا	غير متوافر	كلا
فرون	كلا	نعم	كلا	كلا	نعم
عيترون	كلا	نعم	كلا	نعم	نعم
راشيا الفخار	كلا	كلا	كلا	غير متوافر	كلا